العهد في
القرآن الكريم

بقلم

د. محمد الطنطاوي جبريل

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات

بالإسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله أثبت لنفسه صفة الوفاء بالعهد فقال سبحانه وتعالى: ﴿**وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ**﴾ [التوبة: ١١١] وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله سيد الأتقياء وأوفى الأوفياء، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله الأطهار، وصحابته الأخيار، مصابيح الهدى، ورمز التقى، الذين عاهدوا ربهم على السمع والطاعة، فوفوا عهودهم مع ربهم، والله أسأل أن يهدينا، وأن يوفقنا لطاعته، وأن يعيننا على الوفاء بالعهد إنه سميع مجيب.

أما بعد...،

فلقد تألمت من كتاب الله تعالى قوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ**﴾ [النحل: ٩١]، وتأملت حياة الناس من حولي فوجدت أن القليل منهم هم الذين يتبعون أمر الله – عز وجل – في هذه الآية، والكثير منهم يخالفون أمره – عز وجل، لأن القلوب ليست عامرة بالإيمان، فهم ينكرون الجميل الذي يسدى إليهم، بل ويسيئون لمن أسدى إليهم الجميل، امتلأت قلوبهم بالحقد والبغضاء، وكأنهم لم تصل إلى مسامعهم وقلوبهم هذه الآية، وغيرها من الآيات الآمرة بالوفاء بالعهد، والمبينة جزاء الموفين بعهدهم، أو الآيات الناهية عن نقض العهد، والمبينة جزاء النكث، لذا قمت بإعداد هذا البحث آملاً أن يتغير حال المسلمين إلى أحسن حال، حتى يغيظ الله بهم أعداء الإسلام الحاقدين عليه وعلى رسوله الله ﷺ.

وجعلت عنوان البحث: **العهد في القرآن الكريم.**

وقسمته مباحث:

المبحث الأول: عهد الله تعالى للرسل.

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: عهد الله إليهم بتبليغ رسالته.

المسألة الثانية: عهد الله إليهم بالإيمان برسول الله ونصرته.

المسألة الثالثة: وعد الله رسله بالغلبة والنصر.

المبحث الثاني: عهد الله لبني آدم

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: أمر الله بالوفاء بالعقود والعهود

المسألة الثانية: أمر الله بعبادته وطاعته وطاعة رسوله وعدم طاعة الشيطان.

المسألة الثالثة: أمر الله عباده بالإحسان إلى الوالدين.

المسألة الرابعة: عهد الله لنا بعدم تعدي حدود ما أحله وحرمه.

المسألة الخامسة: عهد الله إلينا بنصر دينه والثبات عند لقاء الأعداء.

المبحث الثالث: بينت فيه جزاء الوفاء بالعهد، وعقاب نقض العهد

المبحث الرابع: أمثلة للوفاء بالعهد وأمثلة لنقض العهد.

ذكرت أمثلة للموفين بالعهد من كتاب الله تعالى منهم أنس بن النضر وحمزة عم رسول الله ﷺ ومصعب بن عمير وحنظلة بن أبي عامر، وابن السكن ومن معه من الأنصار الذين فدوا رسول الله بأنفسهم في غزوة أحد، وخيثمة، وعمرو بن الجموح – رضى الله عنهم جميعاً.

ثم ذكرت أمثلة لنقض العهد من كتاب الله تعالى، فذكرت نقض عبد الله بن أبي عهده برجوعه في غزوة أحد بثلث الجيش، وذكرت نقض الذين أوتوا الكتاب ميثاق الله، وذكرت نقض من ولى مال اليتيم عهده، ثم ذكرت نقض بني قينقاع العهد مع رسول الله ﷺ ونقض بني النضير ونقض بني قريظة أيضاً ثم ذكرت نقض من عاهدوا الله لئن آتاهم من فضله ليصدقن وليكونن من الصالحين، ثم ذكرت الخاتمة وأهم التوصيات ومراجع البحث.

والله أسأل أن يتقبل هذا العمل وأن يتجاوز عن التقصير وأن ينفع بما فيه وأن يزيدني علماً ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

الباحث

د. محمد الطنطاوي الطنطاوي جبريل
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بالكلية

التمهيد

تعريف العهد:

من المهم أن ألقي الضوء على تعريف العهد، وبيان ما تشتمل عليه هذه الكلمة من معان حيث إنها هي الباب والمدخل إلى هذا البحث.

يقول الراغب الأصفهاني في المفردات:

"العهد: حفظ الشيء ومراعاته حالاً بعد حال، وسمي الموْثق الذي يلزم مراعاته عهداً، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء: ٣٤]، وعهد فلان إلى فلان يعهد أي ألقى إليه العهد، وأوصاه بحفظه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى ءادَمَ﴾ [طه: ١١٥]، وقال: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي ءادَمَ﴾ [يس: ٦٠]، وقال: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا﴾ [آل عمران: ١٨٣]، وقال: ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ [البقرة: ١٢٥].

وعهد الله تارة يكون بما ركزه في عقولنا، وتارة يكون بما أمرنا به بالكتاب، وبالسنة رسله، وتارة يكون بما نلتزمه وليس بلازم في أصل الشرع كالنذور وما يجري مجراها"(١).

ويقول ابن منظور في لسان العرب:

"العهد: كل ما عوهد الله عليه، وكل ما بين العباد من المواثيق فهو عهد، و العهد: الوصية، يقال: عهد إليّ في كذا أي أوصاني، والعهد: الموثق واليمين يحلف بها الرجل، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ﴾ [النحل: ٩١]، والعهد: الوفاء، وفي التنزيل: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾ [الأعراف: ١٠٢] أي من وفاء.

والعهد: الحفاظ ورعاية الحرمة. والعهد: الأمان، وفي التنزيل: ﴿لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]، وفيه: ﴿فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ﴾ [براءة: ٤]"(٢).

(١) مفردات الراغب الأصفهاني: ٣٥٠.
(٢) لسان العرب ٣/٣١٢-٣١٣ بتصرف مادة عهد.

وفي المعجم الوجيز:

"والمعاهدة: ميثاق يكون بين اثنين أو جماعتين"(١).

ومن خلال ما ذكر نجد أن العهد عبارة عما يقطعه الإنسان على نفسه فيما بينه وبين الله، وفيما بينه وبين العباد، وهو الوفاء بما ألزم المرء به نفسه بما في كتاب الله تعالى، وبما في سنة رسول الله ﷺ من أوامر ونواه وذلك عندما نطق بالشهادتين، وأعلن إسلامه.

والمرء في كل حال يحفظ نفسه وغيره، ويرعى حرمة الآخرين فيأمنون شره وغدره.

(١) المعجز الوجيز: ٤٣٩.

المبحث الأول

عهد الله للرسل

الأنبياء والرسل أعظم من أخذ الله عليهم العهد والميثاق، فحين اصطفى رسله وأختارهم لرسالته ألزمهم بأمانة عظمى، ألا وهي تبليغ الرسالة، وتحمل ما يلاقونه من إيذاء أقوامهم، وجهاد أعدائهم، ووعدهم سبحانه وتعالى بالنصر، وأخذ – جل وعلا – العهد عليهم بالإيمان برسول الله ﷺ وبنصرته.

ويتكون هذا المبحث من مسائل:

المسألة الأولى: عهد الله إليهم بتبليغ رسالته:

اختار الله سبحانه وتعالى الرسل من بين البشر، وخلق فيهم صفات تؤهلهم لأن يقوموا بهذه المهمة على أكمل وجه، ومن هذه الصفات: الصدق، والأمانة، وأمرهم بالتبليغ، وهم في كل أمة يبعثون فيها يؤدون دورهم، فيدعون الناس إلى عبادة الله وحده، ويقدمون لهم الحجج والبراهين الدالة على صدقهم، ومنها ما يظهره الله سبحانه على أيديهم من معجزات، يبشرون المطيعين بالجنة، وينذرون العاصين عقاب الله وعذابه، قال سبحانه وتعالى: ﴿**رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً**﴾ [النساء: ١٦٥]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ [النساء: ٦٤]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾ [النحل: ٣٦].

وقال مخاطباً النبي ﷺ: ﴿**يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ**﴾ [المائدة: ٦٧].

ولقد بلغ الرسل رسالة ربهم على أكمل وجه، ولاقوا في سبيل ذلك ألوان الأذى والتعذيب، وكانوا – في كل حالة – يعلنون أنهم يبلغون رسالات ربهم، وأنهم أمناء في تبليغ ما أمروا به، لا ينتظرون منهم أجرا. يقول سبحانه وتعالى عن نوح عليه السلام: ﴿**أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ [الأعراف: ٦٢].

يقول الإمام الشوكاني في فتح القدير:

"وفي زيادة اللام في –لكم – دلالة على المبالغة في إمحاض النصح. قال الأصمعي: الناصح الخالص من الفعل، وكل شيء خلص فقد نصح، فمعنى أنصح هنا: أخلص النية لكم عن شوائب الفساد"(١).

ويقول سبحانه وتعالى عليه السلام: **﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ، أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾** [الأعراف: ٦٧–٦٨].

ويقول سبحانه وتعالى عن صالح عليه السلام: **﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾** [الأعراف: ٧٩].

ويقول سبحانه وتعالى مبيناً ما قاله عيسى عليه السلام: **﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾** [المائدة: ١١٧].

وقد أعلن رسول الله ﷺ لقومه أنه يبلغ رسالة الله تعالى إليهم، يروي الإمام البخاري بسنده عن ابن عباس –رضى الله عنهما – قال: لما نزلت "**وأنذر عشيرتك الأقربين**" صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي لبطون قريش، حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جربنا عليك إلا صدقا، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: **﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ، مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾** [المسد: ١–٢]"(٢).

يقول الحافظ ابن كثير – عند تفسير قول الله تعالى: **﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾** [المائدة: ٦٧]: "يقول تعالى مخاطباً عبده ورسوله محمدا ﷺ باسم الرسالة، وآمراً له بإبلاغ جميع ما أرسله الله به، وقد امتثل – عليه أفضل الصلاة والسلام – ذلك، وقام به أتم القيام"(٣).

(١) فتح القدير ٣٠٦/٢.
(٢) صحيح البخاري ١٧١/٣ ك التفسير سورة الشعراء.
(٣) تفسير ابن كثير ٧٧/٢.

وقال الإمام البخاري فيما رواه بسنده عن عائشة –رضى الله عنها – قالت: "من حدثك أن محمدا ﷺ كتم شيئاً مما أنزل عليه فقد كذب، والله يقول: ﴿**يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ**﴾ الآية(١).

وروى الترمذي بسنده عن عائشة –رضى الله عنها – قالت: "لوكان النبي ﷺ كاتماً شيئاً من الوحي لكتم هذه الآية: ﴿**وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ**﴾ الآية(٢).

فلو كتم الرسول ﷺ شيئاً لأخفى آيات العتاب، ومنها قوله تعالى معاتباً نبيه ﷺ: ﴿**وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ**﴾ [الأحزاب: ٣٧]. عاتبه ربه لأنه أخفى ما أعلمه الله به من أن زيدا الذي تبناه الرسول ﷺ سيطلق زوجته وسيتزوجها رسول الله ﷺ فخشى أن يقول الناس: تزوج محمد زوجة متبناه، وكان ذلك ممنوعاً في الجاهلية، فأبطل الله هذا الحكم في الإسلام بزواج الرسول ﷺ من زينب بنت جحش مطلقة زيد بن حارثة.

وفي حجة الوداع –حين خطب رسول الله ﷺ أشهد المجتمعين على أنه قد بلغ رسالة ربه، يروي ذلك الإمام البخاري في حديث في باب حجة الوداع، وفيه أن رسول الله ﷺ قال: **{ألا هل بلغت؟}** قالوا: نعم قال: **{اللهم أشهد ثلاثا}**(٣).

وقد ذكر الإمام مسلم في كيفية حجة النبي ﷺ أن النبي ﷺ سأل الحاضرين عما يقولون إذا سئلوا عن رسول لله ﷺ روى بسنده عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنه في حديثه الطويل في كيفية حجة النبي ﷺ يقول: قال ﷺ: **{وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله. وأنتم تسألون عني، فما أنتم قائلون؟}** قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. فقال –بأصبعه السبابة يرفها إلى السماء وينكتها إلى الناس **{اللهم اشهد، اللهم اشهد}** ثلاث مرات(٤).

وهكذا أدى رسل الله – عليهم الصلاة والسلام – ما أمروا به من البلاغ.

(١) صحيح البخاري ١٢٥/٣ ك التفسير سورة المائدة.
(٢) سنن الترمذي ٣٥٣/٥ ك التفسير باب ٣٤ قال: حديث حسن صحيح.
(٣) المصدر السابق، ٨٤/٣ ك المغازي باب حجة الوداع.
(٤) صحيح مسلم ٥٦٥/٤ ك الحج باب حجة النبي ﷺ .

المسألة الثانية: عهد الله إليهم بالإيمان برسول الله ﷺ ونصرته:

يقول ربنا – عز وجل –: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا ءاتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

يقول الإمام الآلوسي فى معنى الآية:

"اختلفت في المراد من الآية فقيل: إنها على ظاهرها، ويؤيد ذلك ما أخرجه ابن جرير عن على كرم الله وجهه – قال: لم يبعث الله تعالى نبياً آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد في محمد ﷺ لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، ويأمره فيأخذ العهد على قومه، ثم تلا الآية. وعدم ذكر الأمم فيها حينئذ إما لأنهم معلومون بالطريق الأولى، أو لأنه استغنى بذكر النبيين عن ذكرهم. وقيل: إن إضافة الميثاق إلى النبيين إضافة الفاعل، والمعنى: وإذ أخذ الله الميثاق الذي وثقه النبيون على أممهم، وإلى هذا ذهب ابن عباس، فقد ذهب ابن المنذر وغيره عن سعيد ابن جبير أنه قال: قلت لابن عباس: إن أصحاب عبد الله يقرءون: (وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لما آتيتكم)... إلخ، ونحن نقرأ "ميثاق النبيين". فقال ابن عباس: إنما أخذ الله ميثاق النبيين على قومهم، وأشار بذلك رضي الله عنه إلى أنه لا تتناقض بين القراءتين"(١).

وبعد ذكر ما قال الإمام الآلوسي نجد أن محصلة القولين واحدة، فسواء أخذ العهد على النبيين أو أخذ على أهل الكتاب فإن النبيين مأمورون بتبليغ أقوامهم ما أمرهم الله به، ولذلك ذكر موسى وعيسى – عليهما السلام – لقومهما وصف رسول الله ﷺ في التوراة والإنجيل، وبشرا به ﷺ وأمر باتباعه، يقول سبحانه وتعالى ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾

[الأعراف: ١٥٧].

(١) روح المعاني، م١، ج٣، ٢٠٩. وينظر جامع البيان م٣ ج٣/٢٣٦.

وقد كان وصف رسول الله ﷺ في التوراة والإنجيل وصفاً دقيقاً يؤدي إلى معرفته ﷺ معرفة جيدة.، قال سبحانه وتعالى: ﴿**الَّذِينَ ءاتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ، الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ المُمْتَرِينَ**﴾ [البقرة: ١٤٦، ١٤٧].

ومعرفة الآباء أبناءهم لا يشك فيها أحد أبداً.

يقول الطاهر ابن عاشور: "والتشبيه في قوله: ﴿**كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ**﴾ تشبيه في جلاء المعرفة وتحققها؛ فإن معرفة المرء بعلائقه معرفة لا تقبل اللبس، وخص الأبناء لشدة تعلق الآباء بهم فيكون التملي من رؤيتهم كثير فتتمكن معرفتهم، فمعرفة هذا الحق ثابتة لجميع علمائهم، وعدل عن أن يقال يعلمونه إلى يعرفونه، لأن المعرفة تتعلق غالباً بالذوات والأمور المحسوسة، فالمعنى: يعرفون صفات الرسول ﷺ – وعلاماته المذكورة في كتابهم، و يعرفون الحق كالشيء المشاهد"(١).

روى البخاري بسنده عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص – رضى الله عنهما – فقلت: أخبروني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة. قال: أجل إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: يأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا وحرزا للأميين، أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح به أعينا عما، وآذانا صما، وقلوباً غلفا"(٢).

وقصة إسلام عبد الله بن سلام شاهد على ذلك رواها الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية يقول: "قال محمد بن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر عن يحيى بن عبد ا لله عن رجل من آل عبد لله بن سلام، قال: كان من حديث عبد الله بن سلام حين أسلم – وكان حبراً عالماً – قال: لما سمعت برسول الله، وعرفت صفته واسمه وهيئته وزمانه الذي كنا نتوكف(٣) له، فكنت بقباء مسرا بذلك صامتاً عليه، حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة، فلما قدم نزل بقباء في بني عوف، فأقبل رجل حتى أخبر بقدومه، وأنا في رأس

(١) التحرير والتنوير م٢ ج١/٤٠ بتصرف.
(٢) صحيح البخري ١٤/٢ ك البيوع باب كراهية السخب في الأسواق.
(٣) التوكف: التوقع والانتظار. لسان العرب ٣٦٤/٩ مادة وكف.

نخلة لي أعمل فيها، وعمتى خالدة بنت الحارث تحتي جالسة، فلما سمعت الخبر بقدوم رسول الله ﷺ كبرت، فقالت عمتي حين سمعت تكبيري: لو كنت سمعت بموسى بن عمران ما زدت، قال: قلت لها: أي عمة، والله هو أخو موسى بن عمران، وعلى دينه بعث بما بعث به، قال: فقالت له: يا بن أخي أهو الذي كنا نخبر أنه يبعث مع نفس الساعة؟ قال: قلت لها: نعم، قالت: فذاك إذًا. قال: فخرجت إلى رسول الله ﷺ فأسلمت، ثم رجعت إلى أهل بيتي فأمرتهم فأسلموا، وكتمت إسلامي من اليهود..."(١).

وروى الإمام البخاري وأحمد و غيرهما عن أنس قال: سمع عبد الله ابن سلام بمقدم النبي ﷺ وهو في أرض يخترف(٢)، فأتى النبي ﷺ فقال: إني سائلك عن ثلاثة لا يعلمهن إلا نبي، ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ فقال: "**أخبرني بهن جبريل آنفاً**" فقال: جبريل؟ قال: "**نعم**" قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقرأ هذه الآية: ﴿**قُلْ مَن كَانَ عَدُواً لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ**﴾ الآية(٣)، قال: "**أما أول أشراط الساعة فنار تخرج من المشرق فتحشر الناس إلى المغرب، وأما أول ما يأكل أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وأما ما ينزع الولد إلى أبيه أو أمه فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع إليه الولد، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع إليها**"، قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله"(٤).

وقد حكى القرآن الكريم بشارة عيسى عليه السلام فقال: ﴿**وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَاءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ**﴾ [الصف: ٦]، وفي إنجيل برنابا: "قال يسوع: وقد جاء أنبياء كلهم من قبلي إلا رسول الله سيجيء من بعدي بعثني الله أن أصدقه، وأخبر الناس من جيئته منه"(٥).

ويقول: "الحق أقول لكم إن كل نبي متى جاء فإنه إنما يحمل لأمة واحدة فقط علامة رحمة الله، ولذلك لم يتجاوز كلامهم الشعب الذي أرسلوا إليه، و لكن رسول الله

(١) البداية والنهاية ٢/٢٤٥-٢٤٦.
(٢) يخترف: يجمع الثمار؛ لأن عملية جمع الثمار وجنيها يكون في الخريف. مختار الصحاح ٣١٦.
(٣) البقرة: ٩٧.
(٤) صحيح البخاري ٢/٢٨٨ ك الأنبياء باب قوله تعالى "وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة". والمسند ٣/١٠٨.
(٥) إنجيل برنابا ٥٤ الفصل السادس والثلاثون.

متى جاء يعطيه الله ما هو بمثابة خاتم يده، فيحمل خلاصاً ورحمة لأمم الأرض الذين يقبلون تعليمه، وسيأتي بقوة على الظالمين، ويبيد عبادة الأصنام بحيث يخزي الشيطان؛ لأنه هكذا أوعد الله إبراهيم قائلاً: "انظر فإني بنسلك أبارك كل قبائل الأرض، وكما حطمت يا إبراهيم الأصنام تحطيما هكذا سيفعل نسلك"(١).

وعلى الرغم من أن الرسل بشروا قومهم برسالة الرسول ﷺ، ووصفوه وأخذوا العهود عليهم بالإيمان به إذا أدركوا زمانه، فإننا نجد فريقاً منهم كتموا هذا العهد فلم يؤمنوا برسول الله ﷺ وهؤلاء معظمهم، وبقى فريق آخر قد آمن منهم عبد الله بن سلام من اليهود، وتميم الداري من النصارى، وصهيب وغيرهم، وهؤلاء وأمثالهم الذين يتحقق فيهم قول الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٢٨].

روى الإمام البخاري بسنده عن أبي بردة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: "**ثلاثة لهم أجران، رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد ﷺ، والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه، ورجل كانت عنده أمة فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران**"(٢).

فعلى من لم يؤمن من أهل الكتاب أن يوفوا بعهدهم، ولن يكون ذلك إلا باتباع رسالة رسول الله ﷺ الباقية إلى قيام الساعة.

المسألة الثالثة: وعد الله رسله بالغلبة والنصر:

أمر الله رسله بالتبليغ، وقد علم سبحانه وتعالى أنهم سيلقون اضطهاداً وإيذاء، فأمرهم بالصبر وتحمل المشاق من أجل تحقيق الهدف، ووعدهم النصر وعداً مؤكداً كما هو وضح من الآيات، يقول سبحانه وتعالى: ﴿**وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ، إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ، وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ**﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣].

فالآية مؤكدة بعدة توكيدات باللام وقد وإن، يقول الحافظ ابن كثير في معنى الآيات: "تقدم في الكتاب الأول أن العاقبة للرسل وأتباعهم في الدنيا والآخرة، كما تقدم

(١) المصدر السابق ٦٧ الفصل الثالث والأربعون.
(٢) صحيح البخاري ٢٩/١ ك العمل باب تعليم الرجل أمته وأهله.

بيان نصرتهم على قومهم ممن كذبهم وخالفهم، كيف أهلك الكافرين، ونجى عباده المؤمنين"(١).

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءامَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ**﴾ [غافر: ٥١]، فهذه الآية مؤكدة أيضاً، والتأكيد مع العهد والوعد يدل على قيمته وتحققه، عبرت الآية بالفعل المضارع "تنصر" لتشير إلى أن النصر دائم مستمر، وأضيفت كلمة "رسل" إلى "نا" وهي إضافة تشريف لتبين أن من تمام تشريفهم أن ينصرهم الله سبحانه وتعالى.

يقول الإمام ابن جرير الطبري عند تفسير الآية:

"يقول القائل: وما معنى إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا، وقد علمنا أن منهم من قتله أعداؤه ومثلوا به كشيعاء، ويحي بن زكريا وأشباههما، ومنهم من هم بقتله قومه، فكان أحسن أحواله أن يخلص منهم حتى فارقهم بنفسه كإبراهيم الذي هاجر إلى الشام من أرضه مفارقاً لقومه، وعيسى الذي رفع إلى السماء إذا أراد قومه قتله، فأين النصرة التي أخبرنا أنه ينصرها رسله والمؤمنين به في الحياة الدنيا وهؤلاء أنبياؤه وقد نالهم من قومهم ما قد علمت، وما نصروا على من نالهم بما نالهم به؟

قيل: إن لقوله: "إنا لننصر رسلنا والذين ءامنوا في الحياة الدنيا" وجهين كلاهما صحيح معناه. أحدهما: أن يكون معناه: إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا إما بإعلائناهم على من كذبنا، وأظفرناهم بهم حتى يقهروهم غلبة، ويذلوهم بالظفر ذلة كالذي فعل من ذلك بداود وسليمان، فأعطاهما من الملك والسلطان ما قهرا به كل كافر، وكالذي فعل بمحمد ﷺ بإظهاره على من كذبه من قومه، وإما بانتقامنا ممن حادهم وشاقهم بإهلاكهم وإنجاء الرسل ممن كذبهم وعاداهم، كالذي فعل تعالى ذكره بنوح وقومه من تغريق قومه وإنجائه منهم، وكالذي فعل بموسى وفرعون وقومه إذ أهلكهم غرقاً، ونجى موسى ومن آمن به من بني إسرائيل وغيرهم ونحو ذلك، أو بانتقامنا في الحياة الدنيا من مكذبيهم بعد وفاة رسولنا من بعد مهلكهم كالذي فعلنا من نصرتنا شعياء بعد

(١) تفسير ابن كثير ٣٤/٤ بتصرف يسير.

مهلكه بتسليطنا على قتلته من سلطنا حتى انتصرنا بهم من قتلته له، وكانتصارنا لعيسى من مريدي قتله بالروم حتى أهلكناهم بهم، فهذا أحد وجهيه"(١).

ويقول ابن كثير: "أن يكون الخبر خرج عاماً والمراد به البعض"(٢)، وهذا سائغ في العربية. وقد لاقى نبينا ﷺ الكثير من قومه كإخوانه حين اضطهدوه، وآذوه وآذوا أصحابه، وأرغموهم على الخروج من ديارهم إلى الحبشة ثم إلى المدينة، أنزلوا بهم ألوان النكال؛ فأمر الله نبيه والمؤمنين بالصبر في أكثر من موضع، يقول سبحانه وتعالى: **﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلاَ تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾** [الأحقاف: ٣٥]، وقال: **﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلاَ تَكُن كَصَاحِبِ الحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾** [القلم: ٤٨]، وقال سبحانه وتعالى: **﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾** [غافر: ٥٥]، وقد تحقق من وعد الله لنبيه أن أعزه وأعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ومكن المؤمنين من رقابهم، ودانت الجزيرة العربية لرسول الله ﷺ، وفتح الله له اليمن، وأكمل أصحابه الفتوحات حتى انتشر الإسلام في بقاع الأرض، وأصبح السائر من صنعاء إلى الشام لا يخشى إلا الله والذئب على غنمه – كما وعد رسول الله أصحابه، ولا يزال الإسلام ظاهراً بفضل الله تعالى، وسيظل إلى قيام الساعة.

ويتضح من الآيات مظاهر انتقام الله لرسله وإهلاك المكذبين نتيجة تكذيب المكذبين واعتدائهم على رسلهم.

يقول سبحانه وتعالى: **﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ ءايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَاباً أَلِيماً﴾** [الفرقان: ٣٧]، إنه عقاب الإغراق في الدنيا، وفي الآخرة لهم عذاب عظيم، لقد دعا نوح ربه لما أيس من إيمانهم، ولاقى منهم أذى وتكذيباً فقال: **﴿رَّبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّاراً، إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلاَ يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً﴾** [نوح: ٢٦، ٢٧].

(١) جامع البيان م١١ ج٢٤/٤٨-٤٩.
(٢) تفسير ابن كثير ٤/٨٣.

ولما كذب قوم عاد نبيهم هوداً عليه السلام أهلكهم الله بالريح يقول سبحانه وتعالى: **﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ، إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ، تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ، فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾** [القمر: ١٨-٢١].

وأهلك الله ثمود بالصيحة حينما كذبوا صالحا عليه السلام وعقروا الناقة وكان صالح قد نهاهم أن يمسوها بسوء، يقول سبحانه وتعالى: **﴿وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ، فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ، فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحاً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ القَوِيُّ العَزِيزُ، وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾** [هود: ٦٤-٦٧]. وأهلك سبحانه المكذبين من قوم لوط يقول سبحانه وتعالى: **﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ، فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾** [الحجر: ٧٣-٧٤]. وأغرق الله سبحانه فرعون وجنوده، فكم طغا وتجبر، وقال أنا ربكم الأعلى، وكان يسخر من موسى عليه السلام يحكي القرآن ذلك فيقول سبحانه: **﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلاَ تُبْصِرُونَ، أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلاَ يَكَادُ يُبِينُ، فَلَوْلاَ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ المَلاَئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ، فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ، فَلَمَّا ءاسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ، فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً لِّلآخِرِينَ﴾** [الزخرف: ٥١: ٥٦].

وقد توعد الله سبحانه وتعالى الظالمين على لسان نبيه ﷺ في الحديث القدسي يروي الإمام البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: "**يقول الله تبارك وتعالى: من عادي لي ولياً فقد آذنته بالحرب**"(١). لقد ظلموا أنفسهم، فمن يقدر على حرب الله تعالى؟! فأنجز الله وعده حيث قال: **﴿كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾** [المجادلة: ٢١].

(١) صحيح البخاري ١٢٩/٤ باب التواضع، الأحاديث القدسية ٨١/١ جزاء معاداة أولياء الله وأفضل ما يتقرب به إلى الله.

المبحث الثاني

عهد الله لبني آدم

خلق الله الخلق لعبادته، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وفطرهم فطرة سليمة، هي طريق الهداية، يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

فإذا تغلب الشيطان عليهم، وتمكن منهم ابتعدوا عن الطريق الصحيح، وتخبطوا في الظلمات؛ لذا كانوا في حاجة إلى الرسل ليأخذوا بأيديهم إلى الطريق الصحيح، ويبلغوهم شرع الله تعالى أوامره ونواهيه، وهي العهود التي يلزم الوفاء بها وقد قسمتها مسائل.

المسألة الأولى: أمر الله بالوفاء بالعقود والعهود:

أمر الله المؤمنين في كتابه المبين أن يوفوا عهدهم فيما بينهم وبين ربهم، وفيما بينهم وبين بعضهم البعض، يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]، ينادي ربنا علينا بصفة الإيمان، لينبهنا إلى أهمية العقود، ويحمسنا على السمع والطاعة، حيث إنه لا يليق بالمؤمن إلا أن يسمع وأن يطيع، وجاء الأمر "أوفوا" ليبين ما يجب علينا تجاه هذه العقود.

"والعقود جمع عقد وهو العهد الموثق المشبه بعقد الحبل ونحوه، يقول الزجاج: "أوفوا بالعقود" خاطب الله المؤمنين بالوفاء بالعقود التي عقدها الله تعالى عليهم، والعقود التي يعقدها بعضهم على بعض على ما يوجبه الدين"(١).

وقد وضحت الآيات في هذه السورة وغيرها بعض ما أمر الله – عز وجل – به، وما نهى عنه، ليكون الناس على بينة منها، فتنقطع أعذارهم.

ومما اشتملت عليه سورة الأنعام الوصايا العشر في قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ

(١) لسان العرب ج٣ /٢٩٧ مادة عقد.

نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ، وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ اليَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ، وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١-١٥٣]، وهذه الآيات تتضمن بعض الأوامر وهي: الإحسان إلى الوالدين، وإيفاء الكيل والميزان بالقسط، والعدل في القول والشهادة، والوفاء بعهد الله تعالى، واتباع صراط الله المستقيم، ونهت عن: الإشراك بالله تعالى، وقتل الأولاد خوف الفقر والعار، وقرب الفواحش الظاهرة والباطنة، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق، وقرب مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده.

يقول الإمام الشوكاني في معنى: (وبعهد الله أوفوا): "أوفوا بكل عهد عهده الله إليكم، ومن جملة ما عهده إليكم ما تلاه عليكم رسوله بأمره في هذا المقام، ويجوز أن يراد به كل عهد ولو كان بين المخلوقين؛ لأن الله سبحانه لما أمر بالوفاء به في كثير من الآيات القرآنية كان ذلك مسوغاً لإضافته إليه"(١).

هذه الآيات الثلاث انقسمت الأحكام فيها إلى ثلاثة أقسام يقول الطاهر ابن عاشور: "الأول: أحكام بها إصلاح الحالة الاجتماعية العامة بين الناس وهو ما افتتح بقوله: (ألا تشركوا به شيئا). الثاني: ما به حفظ نظام تعامل الناس بعضهم مع بعض وهو المفتتح بقوله: (ولا تقربوا مال اليتيم). الثالث: أصل كلي جامع لجميع الهدى وهو اتباع طريق الإسلام، والتحرز من الخروج عنه إلى سبيل الضلال وهو المفتتح بقوله: (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه) وقد ذيل كل قسم من هذه الأقسام بالوصاية به بقوله: (ذلكم وصاكم به) ثلاث مرات"(٢).

ومعنى وصاكم: أمركم به أمراً مؤكداً، ولا يوصى ربنا إلا بكل ما فيه خير؛ لذا تجب طاعته، والطاعة هي الوفاء بالعهد.

(١) فتح القدير ١٧٨/٢.
(٢) التحرير والتنوير م٥ ج١٥٦/٨.

أخرج الترمذي بسنده عن عبادة بن الصامت قال: كنا عند النبي ﷺ في مجلس فقال: "**تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا، قرأ عليهم الآية، فمن وفَّى منكم، فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعُوقب عليه فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله عليه فهو إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له**"(١).

المسألة الثانية: أمر الله بعبادته وطاعته وطاعة رسوله وعدم طاعة الشيطان:

يقول سبحانه وتعالى آمرًا الخلق بعبادته: ﴿**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً**﴾ [النساء: ٣٦]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿**لاَ تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَّخْذُولاً**﴾ [الإسراء: ٢٢] يأمر سبحانه عباده أن يعبدوه وحده، ولا يشركوا معه أحدًا في عبادته، فهو الخالق الرازق المستحق للعبادة، المتفرد بالألوهية، روى البخاري ومسلم بسندهما عن أنس بن ملك عن النبي ﷺ قال: يقول الله تبارك وتعالى لأهون أهل النار عذابا: لو كانت لك الدنيا وما فيها أكنت مفتدياً بها؟ فيقول: نعم. فيقول: قد أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم: أن لا تشرك (أحسبه قال) ولا أدخلك النار، فأبيت إلا الشرك"(٢). ويقول سبحانه وتعالى: ﴿**يَأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُم لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ، الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ٢١-٢٢]. فمن تأمل هاتين الآيتين وجد الآية الأولى قد دعت الناس إلى عبادة الله وحده، وقرنت أحقية المولى – عز وجل – بالعبادة بسببها، وهو أنه سبحانه وتعالى هو الخالق وحده، وذكرت الآية الثانية أدلة أخرى تكمل الدليل السابق وهي خلق الأرض ممهدة بما عليها، سخر ما فيها لجميع البشر، ورفع السماء بغير عمد، مزينة بالكواكب والنجوم، وخلق الشمس والقمر لنفع العباد، وأنزل المطر غيثاً ونفعا للبشر، فأخرج به القوت والثمر، وهذه أدلة تحتم على كل ذي عقل أن يوحد الخالق بالعبادة، وختمت الآية الثانية بالدعوة إلى عدم الإشراك بالله تعالى، فالكل يعلم أنه لا خالق غيره، ولا رازق سواه، ولا يستحق العبادة إلا الخالق الرازق سبحانه وتعالى.

(١) سنن الترمذي ٤/٤٥-٤٦ ك الحدود باب ١٢. قال حديث حسن صحيح.
(٢) صحيح مسلم ٨/٢٠١ ك التوبة باب ٢٤، والبخاري ٢/٢٢٩ ك الأنبياء باب خلق آدم وذريته.

عن معاذ بن جبل ﷺ قال: كنت ردف النبي ﷺ على حمار فقال: "**يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده، وما هو حق العباد على الله؟**" قلت: الله ورسوله أعلم. قال: "**فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا**" فقلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال: "**لا تبشرهم فيتكلوا**"(١).

وقد أمرنا سبحانه بطاعته وطاعة رسوله وطاعة أولي الأمر، فقال سبحانه: ﴿**يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ**﴾ [النساء: ٥٩].

يقول الحافظ ابن كثير مبنياً كيفية الطاعة:

"(وأطيعوا الله) اتبعوا كتابه، (وأطيعوا الرسول) أي خذوا بسنته، (وأولي الأمر منكم) أي فيما أمروكم به من طاعة الله، لا في معصية الله، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الله"(٢).

وقد بين سبحانه أن طاعة العباد رسول الله ﷺ هي طاعة له سبحانه وتعالى، يقول – جل شأنه – ﴿**مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**﴾ [النساء: ٨٠] وبين الرسول ﷺ أن طاعة العباد له طاعة لله، روى البخاري بسنده عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني**"(٣).

فطاعة الرعية أولي الأمر طاعة لرسول الله ﷺ وطاعة الله – عز وجل – لكن طاعة أولي الأمر تكون بما يرضى الله – عز وجل – ولا تكون فيما يخالف شرع الله تعالى، روى البخاري بسنده عن عبد الله، عن النبي ﷺ قال: "**السمع والطاعة على المرء المسلم، فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**"(٤).

(١) رياض الصالحين باب الرجاء/١٧٣.
(٢) تفسير ابن كثير ٥١٨/١.
(٣) صحيح البخاري ٢٣٣/٤ ك الأحكام باب قوله تعالى: (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم).
(٤) المصدر السابق ٢٣٤/٤ نفس الكتاب باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية.

وحين أمرنا ربنا – عز وجل – بعبادته وطاعته وطاعة رسوله ﷺ وطاعة أولي الأمر فإن ذلك عهد أخذه الله علينا، ألزمنا أنفسنا به حين شهد كل إنسان من أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وهذا العهد يتطلب منا الوفاء.

وكما عهد إلينا ربنا بعبادته وطاعته عهد إلينا ألا نعبد الشيطان، وبين عداوته لنا فقال سبحانه وتعالى: ﴿**أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي ءادَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ، وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ، وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلاًّ كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ**﴾ [يس: ٦٠-٦٢].

وبين سبحانه أن عداوة الشيطان عداوة قديمة منذ أن خلق سبحانه وتعالى آدم عليه السلام وأسجد له الملائكة، وأمر إبليس بالسجود له فعصى ربه حسداً لآدم عليه السلام وقال: أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين، فطرده الله من رحمته، فطلب اللعين من ربه أن ينظره إلى يوم يبعثون، فأنظره الله إلى يوم الوقت المعلوم، فأقسم بعزة الله – عز وجل – أن يغويهم أجمعين إلا عباد الله المخلصين، قال تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ، قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ، إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ، قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ**﴾ [الحجر: ٣٦-٤٠]. وفي كل وقت يذكرنا ربنا – عز وجل – ويذكرنا الرسول ﷺ بعداوة الشيطان ويأمرنا بالحذر منه، نتذكر ذلك عندما نقرأ كتاب الله تعالى، أو نطالع سنة نبينا ﷺ، يقول سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُواً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾ [فاطر: ٦]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [النور: ٢١]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿**يَأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ، إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ١٦٨-١٦٩].

وقال ﷺ: "**إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم**"(١)، وقال ﷺ في خطبته يوم النحر: "**أيها الناس. إن الشيطان قد يئس أن يعبد ببلادكم آخر الزمان، وقد يرضى عنكم بمحقرات الأعمال، فاحذروه على دينكم بمحقرات الأعمال**"(٢).

(١) صحيح البخاري ٢٤٠/٤ ك الأحكام باب الشهادة تكون عند الحاكم.
(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٢٥٧/٣.

فالشيطان يحاول أن يقف لنا في طريق الطاعة ليصدنا عنها، ويقف لنا في طريق الضلال ليغوينا، وهذا كله واضح جلي، ومن أمثلة ما ذكر النبي ﷺ محذراً مبيناً الطريق الصحيح لتجنب إغوائه، ما رواه الإمام البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "**يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب كل عقدة عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقدة، فأصبح نشيطاً طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان**"(١).

وقد وضع لنا ربنا دواء وسوسة الشيطان فقال – عز وجل – ﴿**وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [الأعراف: ٢٠٠]، لذا يجب علينا أن نحفظ عهدنا مع الله ومع رسوله ﷺ بأخذ الحيطة والحذر من الشيطان الرجيم.

المسألة الثالثة:أمر الله – عز وجل – عباده بالإحسان إلى الوالدين:

أمر الله – عز وجل – عباده بالإحسان إلى الوالدين عقب الأمر بعبادته – سبحانه وتعالى – والأمر بالإحسان إلى الوالدين ليس قاصراً على أمتنا بل هو لكل الأمم يقول سبحانه: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَاءِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً**﴾ [البقرة: ٨٣].

يقول صاحب تفسير المنار: "(وبالوالدين إحسانا) أي وتحسنوا بالوالدين إحسانا، والإحسان نهاية البر، فيدخل فيه جميع ما يجب من الرعاية والعناية، وقد أكد الله الأمر بإكرام الوالدين في التوراة، حتى إنه يوجد فيها الآن أن من يسب والديه يقتل، وقد قرن الأمر بالإحسان بالوالدين إلى الأمر بالتوحيد أو النهي عن الشرك، فهو كقوله تعالى: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً**﴾ [الإسراء: ٢٣]، وليست هذه العناية بأمر الوالدين في الكتب السماوية لكونهما سبب وجود الولد كما يقول الناس، فإنه لا منة لهما على الولد بهذه السببية، والعلة الصحيحة في وجود هذا الإحسان على الولد هي العناية الصادقة التي بذلاها في تربيته، والقيام بشئونه أيام كان ضعيفاً عاجزاً لا يملك لنفسه نفعاً، ولا يقدر أن يدفع عنه ضراً، إذ كانا يحوطانه بالعناية والرعاية، ويكفلانه حتى يقدر على الاستقلال والقيام بشأنه، فهذا الإحسان الذي يكون منهما عن علم واختيار، وما جزاء الإحسان إلا الإحسان"(٢).

(١) صحيح البخاري ١٩٩/١ ك التهجد بالليل باب عقدة الشيطان على قافية الرأس إذا لم يصل بالليل.
(٢) تفسير المنار ٣٠٣/١ بتصرف.

ويبين ربنا – عز وجل – ما تحملته الأم عقب الوصية بالوالدين، وما يجب على الأبناء نحوهما، يقول سبحانه وتعالى: ﴿**وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ المَصِيرُ**﴾ [لقمان: ١٤]، يقول: ﴿**وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ**﴾ [الأحقاف: ١٥]. وأوصانا الرسول ﷺ أيضاً ببر الوالدين والإحسان إليهما، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله تعالى: قال: "**الصلاة على وقتها**" قلت: ثم أي؟ قال: "**بر الوالدين**" قلت: ثم أي؟ قال: "**الجهاد في سبيل الله**"(١).

وكانت وصية ربنا بهما في ذروة الوصايا حيث إنه سبحانه نهى الأبناء أن يظهروا للأبوين أو لأحدهما تضجراً ساعة الضيق، فقال سبحانه وتعالى: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً، وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً**﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤] يقول الطاهر ابن عاشور: "افتتحت هذه الأحكام والوصايا بفعل القضاء اهتماماً به، وأنه مما أمر الله به أمراً جازماً، وحكماً لازماً، وشمل الإحسان كل ما يصدق فيه هذا الجنس من الأقوال والأفعال، والبذل والمواساة، وخص هذه الحالة وهي حالة بلوغ أحد الوالدين أو كليهما الكبر – لأنها مظنة انتفاء الإحسان بما يلقي الولد من أبيه وأمه من مشقة القيام بشئونهما، ومن سوء الخلق منهما، ونهى عن إظهار التضجر لهما، وليس المقصود من النهي عن أن يقول لهما "أف" خاصة، وإنما المقصود النهي عن الأذى الذي أقله الأذى باللسان بأوجز كلمة، وبأنها غير دالة على أكثر من حصول الضجر لقائلها دون شتم أو ذم، فيفهم منه النهي مما هو أشد أذى بطريق فحوى الخطاب بالأولى، ثم أمر بإكرام القول لهما، ثم ارتقى في الوصاية بالوالدين إلى أمر الولد بالتواضع لهما تواضعاً يبلغ حد الذل لهما لإزالة وحشة نفوسهما إن صارا في حاجة إلى معونة الولد، لأن الأبوين يبغيان أن يكونا هما النافعين لولدهما، ثم أمر بالدعاء لهما برحمة الله إياهما وهي الرحمة التي لا يستطيع الولد إيصالها إلى أبويه إلا بالابتهال إلى الله تعالى"(٢).

(١) رياض الصالحين ١٣١ باب بر الوالدين وقال متفق عليه.
(٢) التحرير والتنوير ١/٦٦-٢٧ بتصرف.

ومهما قدم الإنسان لأبويه فإنه لن يؤدي حقهما من البر على أكمل وجه، ويدل على ذلك ما رواه أبو هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ: أنه قال: "**لا يجزي ولد والدا إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه**" يقول الإمام النووي: "لا يكافئه بإحسانه و قضاء حقه إلا أن يعتقه"(١).

وقد أمر الرسول ﷺ الرجل الذي جاء يستأذنه في الجهاد –وله أبوان على قيد الحياة – أن يجاهد فيهما، روى البخاري بسنده عن عبد الله ابن عمرو –رضي الله عنهما – قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ يستأذنه في الجهاد، فقال: "**أحي والداك؟**" قال: نعم. قال: "**ففيهما فجاهد**"(٢).

يقول الإمام السندي في معنى: "ففيهما فجاهد" أي في تحصيل مرضاتهما فجاهد نفسك والشيطان"(٣).

ويروي الإمام مسلم بسنده أن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: أقبل رجل إلى نبي الله ﷺ فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله. قال: "**فهل من والديك أحد حي؟**" قال: نعم بل كلاهما، قال: "**فتبتغي الأجر من الله؟**" قال: نعم. قال: "**فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما**"(٤).

يقول الإمام النووي: "هذا كله دليل لعظم فضيلة برهما، وأنه أكد من الجهاد، وفيه حجة لما قاله العلماء أنه لا يجوز الجهاد إلا بإذنهما إذا كان مسلمين، أو بإذن المسلم منهما"(٥).

ولم يقتصر أمر الله الأبناء بالإحسان إلى الوالدين إذا كانا مسلمين فقط أو كان أحدهما، فالأمر منه سبحانه وتعالى بالإحسان إلى الوالدين دون ذكر صفة لهما أو لأحدهما حتى تكون قيداً في هذا الأمر فيحمل عليه الأمر بالبر، فالأمر بالإحسان إليهما واجب ولو كانا مشركين أو كان أحدهما مشركاً، يقول الإمام الواحدي في أسباب نزول

(١) صحيح مسلم ١٣٧/٥ ك العتق باب فضل عتق الولد، وشرح صحيح مسلم نفس الجزء والصفحة.
(٢) البخاري ٧٤/٤ ك لأدب، باب لا يجاهد إلا بإذن الأبوين.
(٣) حاشية السندي هامش صحيح البخاري ٤٧/٤.
(٤) صحيح مسلم ٦٢٢/٧ ك الأدب باب بر الوالدين.
(٥) شرح صحيح مسلم ٦٢٣/٧-٦٢٤.

قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً﴾ [العنكبوت: ٨]. قال المفسرون: نزلت في سعد بن أبي وقاص، وذلك أنه لما أسلم قالت له أمه جميلة: يا سعد بلغني أنك صبوت، فوالله لا يظلني سقف بيت من الضح والريح ولا آكل ولا أشرب حتى تكفر بمحمد ﷺ وترجع إلى ما كنت عليه، وكان أحب ولدها إلهيا، فأبى سعد، فصبرت هي ثلاثة أيام لم تأكل، ولم تشرب، ولم تستظل بظل حتى خشى عليها فأتى سعد النبي ﷺ وشكا ذلك إليه، فأنزل الله تعالى هذه الآية والتي في لقمان والأحقاف. وروى بسنده عن أبي عثمان النهدي: أن سعد بن مالك قال: أنزلت فيَّ هذه الآية: (وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما)، قال: كنت رجلاً براً بأمي، فلما أسلمت قالت: يا سعد ما هذا الدين الذي قد أحدثت؟ لتدعن دينك هذا أولا آكل ولا أشرب حتى أموت، فتعير بي، فيقال: يا قاتل أمه، قلت: لا تفعلي يا أمه، فإني لا أدع ديني هذا لشيء، قال: فمكثت يوماً لا تأكل فأصبحت قد جهدت، قال: فمكثت يوماً آخر وليلة لا تأكل، فأصبحت وقد أشتد جهدها، قال: فلما رأيت ذلك قلت: تعلمين والله يا أمه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً، ما تركت ديني هذا لشيء، إن شئت فكلي، وإن شئت فلا تأكلي، فلما رأت ذلك أكلت؛ فأنزلت هذه الآية: (وإن جاهداك) الآية(١).

ولما استفتت أسماء رسول الله ﷺ حين جاءتها أمها راغبة في وصلها قال لها رسول الله ﷺ: "**صلي أمك**"، يروي البخاري بسنده أن أسماء ابنة أبي بكر الصديق – رضى الله عنهما – قالت: أتتني أمي راغبة في عهد النبي ﷺ فسألت النبي ﷺ: آصلها؟ قال: "**نعم**" قال ابن عينية: فأنزل الله تعالى فيها: (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين)(٢).

وبر الوالدين لا ينقطع بعد موتهما كما بين الرسول ﷺ في الحديث الذي رواه أبو داود بسنده عن أبي أسيد مالك بن ربيعة الساعدي قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال: يا رسول الله، هل بقى من بر أبوي شيء أبرهما

(١) أسباب النزول للواحدي ٢٥٦-٢٥٧.
(٢) البخاري ٤٨/٤-٤٩ ك الأدب باب صلة الوالد المشرك.

به بعد موتهما؟ قال: "**نعم، الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما**"(١).

وقد طبق سيدنا عبد ا لله بن عمر –رضي الله عنهما –وصية رسول الله ﷺ، يروي الإمام مسلم بسنده عن عبد ا لله بن عمر أن رجلاً من الأعراب لقيه بطريق مكة، فسلم عليه عبد الله، وحمله على حمار كان يركبه، وأعطاه عمامة كانت على رأسه، فقال ابن دينار: قلنا له: أصلحك الله! إنهم الأعراب، وإنهم يرضون باليسير، فقال عبد الله: إن أبا هذا كان وداً لعمر بن الخطاب، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**إن أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه**"(٢)، ونحن بدورنا يجب أن نتأدب بهذا الأدب في معاملاتنا مع أصدقاء والدينا حتى نفي ببرهما، ونفي بعهدنا مع الله ورسوله.

المسألة الرابعة: عهد الله لنا بعدم تعدي حدود ما أحله وحرمه:

أحل الله لنا أشياء وأمرنا بفعلها، وحرم علينا أشياء نهانا أن نقربها، وهذه حدود الله التي نهانا أن نتعداها، يقول الراغب في معنى الحد: "الحد الحاجز بين الشيئين الذي منع اختلاط أحدهما بالآخر"(٣) فحد الدار يمنع الغير من الدخول فيها، وحد الأرض يمنع الغير من الاعتداء عليها، يقول ابن الأثير: "وأصل الحد: المنع والفصل بين الشيئين، فكأن حدود الشرع فصلت بين الحلال والحرام، فمنها ما لا يقرب كالفواحش المحرمة، ومنه قوله تعالى: ﴿**تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا**﴾ [البقرة: ١٨٧]، ومنه ما لا يتعدى كالمواريث المعينة، وتزويج الأربع، ومنه قوله تعالى: ﴿**تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا**﴾ [البقرة: ٢٢٩](٤).

وعرف بعض المفسرين الحدود فقال أبو حيان: "وحدود الله شروطه، قاله السدي، أو فرائضه، قاله شهر بن حوشب، أو معاصيه، قاله الضحاك"(٥).

(١) سنن أبي داود ٣٣/٤ ك الأدب باب في بر الوالدين.
(٢) صحيح مسلم ٦٣١/٧ ك الأدب باب فضل صلة أصدقاء الأب والأم.
(٣) مفردات الراغب ١٠٩.
(٤) لسان العرب ١٤٠/٣ مادة حد.
(٥) البحر المحيط ٥٤/٢.

وقال الإمام الزمخشري: "محارمه ومناهيه"(١).

ويقول الفخر الرازي: "المراد من حدود الله محدوداته، أي مقدوراته التي قدرها بمقادير مخصوصة وصفات"(٢). فالحدود إذاً هي أوامر الله ونواهيه التي أحل وحرم.

وقد ورد الأمر بالحل في القرآن الكريم بصيغ منها:

١- الأمر بفعل الشيء كقوله تعالى: ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ**﴾ [البقرة: ٤٣]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿**يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [الحج: ٧٧].

٢- وإما بذكر الفعل (كتب) يقول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِصَاصُ فِي القَتْلَى الحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى**﴾ [البقرة: ١٧٨]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿**يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [البقرة: ١٨٣]، وقال تعالى: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ**﴾ [البقرة: ٢١٦]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿**فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ القِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً**﴾ [النساء: ٧٧].

٣- وإما بذكر الفعل (قضى) كقوله تعالى: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ**﴾ [الإسراء: ٢٣].

٤- وإما بذكر الفعل (وصى) و(يوصي) يقول سبحانه وتعالى: ﴿**وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً**﴾ [العنكبوت: ٨]، وقال: ﴿**وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ**﴾ [لقمان: ١٤]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿**يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ**﴾ [النساء: ١١].

وكذلك ورد التحريم في القرآن الكريم بصيغ منها:

١- النهي صراحة عن الفعل كقوله تعالى: ﴿**وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً**﴾ [النساء: ٣٦]، ويقول سبحانه: ﴿**وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ**﴾ [الأنعام: ١٥١]، وقال: ﴿**وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ**

(١) الكشاف ٢٣٣/١.
(٢) الفخر الرازي ١٢٥/٣.

الَتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١٥١]، وقال تعالى: ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾ [النساء: ٢٩].

٢- النهي عن أكل المال يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾ [النساء: ٢]، ويقول سبحانه: ﴿وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا لاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُّضَاعَفَةً﴾ [آل عمران: ١٣٠].

٣- وإما بذكر الفعل حرم المبني للفاعل كقوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ البَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ المَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٣]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].
أو بصيغة المبني للمفعول يقول سبحانه وتعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ ...﴾ الآية [النساء: ٢٣]، وقال: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ المَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الخِنزِيرِ...الآية﴾ [المائدة: ٣]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ البَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُماً﴾ [المائدة: ٩٦]، وقال في سورة النور - بعد أن نهي عن نكاح الزاني أو الزانية -: ﴿وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى المُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٣] أي الزنا أو نكاح الزواني.

٤- وإما بالنهي عن قرب الفعل وهذا النهي أبلغ في البعد عن الفعل، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلاَ تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام: ١٥١]، ويقول سبحانه: ﴿وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾ [الإسراء: ٣٢]، ويقول سبحانه: ﴿وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ اليَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ [الأنعام: ١٥٢].
بين الإمام الآلوسي دلالة قوله تعالى: (لا تقربوا) فيقول: "وتعليق النهي بقربانها إما للمبالغة في الزجر عنها لقوة الدواعي إليها، وإما لأن قربانها داع إلى مباشرتها"(١).
ويقول الطاهر ابن عاشور: "وقد نهي عن القرب منها، وهو أبلغ في التحذير من النهي عن ملابستها؛ لأن القرب من الشيء مظنة للوقوع فيه، ولما لم يكن للإثم قرب وبعد كان القرب مراداً به الكناية عن ملابسة الإثم أقل ملابسة، لأنه من

(١) روح المعاني م٣ ج٨/٥٤.

المتعارف أن يقال ذلك في الأمور المستقرة في الأمكنة، إذا قيل لا تقرب منها فهم النهي عن القرب منها ليكون النهي عن ملابستها بالأحرى"(١).

٥- وإما بنفي الحل كقوله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ﴾ [البقرة: ٢٣٠]، وقال سبحانه: ﴿وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهاً﴾ [النساء: ١٩]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿لاَ يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلاَ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾ [الأحزاب: ٥٢].

٦- وإما بالأمر باجتنابه يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال سبحانه: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات ١٢].

٧- وإما بذكر الجزاء، لينفر من الفعل، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ اليَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾ [النساء: ١٠]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلاَ تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ المُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾ [النساء: ٩٣]، وقال بعد ذكر

(١) التحرير والتنوير م٥ ج٨/١٥٩-١٦٠.

الفرائض في سورة النساء: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٤].

٨- وإما ببيان سبب النهي عن الفعل، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيراً، وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾ [الإسراء: ٣١، ٣٢]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلاَ تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتاً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾ [النساء: ٢٢].

٩- وإما ببيان كفارة الفعل وذلك يدل على تحريمه أيضاً، يقول سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلاَّ اللاَّئِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَراً مِّنَ القَوْلِ وَزُوراً وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ، وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ٣، ٤]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّداً فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْياً بَالِغَ الكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَاماً لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ [المائدة: ٩٥].

وقد بين الله تعالى أن ما أحل وما حرم حدودا، فقال سبحانه وتعالى - بعد آيات الفرائض ثم بين جزاء طاعتها ليرغب في الطاعة وعقاب العصيان لينفر منه، يقول: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ، وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٣-١٤]، وقال في سورة الطلاق بعد أن بين ما يجب للمطلقة: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [آية: ١].

وقال ﷺ: "**إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدوداً فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة لكم من غير نسيان فلا تبحثوا عنها**"(١). فالالتزام بأوامر الله واجتناب نواهيه حفظ للعهد الذي أخذناه على أنفسنا بالسمع والطاعة.

المسألة الخامسة: عهد الله إلينا بنصر دينه والثبات عند لقاء الأعداء:

عهد الله سبحانه وتعالى إلينا أن ننصر دينه، ولو شاء سبحانه وتعالى لنصر دينه بغير قتالنا الأعداء، ولكنه جلت حكمته يربط الأسباب بالمسببات فأمرنا بقتال الأعداء، يقول - سبحانه وتعالى -: ﴿**يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾ [محمد: ٧]. ولكن ما المراد بنصر الله المذكور في الآية وهو سبحانه الذي يؤيد بنصره من يشاء؟

يقول الفخر الرازي: "وفي نصر الله تعالى وجوه: الأول: إن تنصروا دين الله وطريقه، الثاني: إن تنصروا حزب الله وفريقه، ويكون الكلام هنا من باب حذف المضاف، ففي الأول (دين) وفي الثاني (حزب) الثالث: المراد نصرة الله حقيقة فنقول: النصرة تقحيق مطلوب أحد المتعاديين عند الاجتهاد، والأخذ في تحقيق علامته، فالشيطان عدو الله يجتهد في تحقيق الكفر وغلبة أهل الإيمان، والله يطلب قمع الكفر وإهلاك أهله، وإفناء من اختار الإشراك بجهله"(٢).

وقد أمرنا ربنا بقتال الأعداء ونهانا عن الاعتداء فقال سبحانه: ﴿**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ [البقرة: ١٩٠]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿**وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ**﴾ [التوبة: ٣٦].

يقول الحافظ ابن كثير: "يحتمل أن يكون من باب التهييج والتخصيص، أي كما يجتمعون لحربكم إذا حاربوكم فاجتمعوا أنتم أيضاً لهم إذا حاربتموهم، وقاتلوهم بنظير ما يفعلون، ويحتمل أنه أذن للمؤمنين بقتال المشركين في الشهر الحرام إذا كانت البداءة منهم كما قال تعالى: ﴿**الشَّهْرُ الحَرَامُ بِالشَّهْرِ الحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ**﴾ [البقرة: ١٩٤]،

(١) حديث حسن رواه الدارقطني في كتاب الرضاع ٨٣/٤ حديث رقم ٤٢.
(٢) الفخر الرازي م١٤ ج٢٨/٤٩.

وقال تعالى: ﴿وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ المَسْجِدِ الحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩١]"(١).

وقد رغب ربنا في جهاد الأعداء عندما جعل جهاد الأعداء بالنفس والمال صفقة رابحة يتاجر فيها العبد مع ربه فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ المُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

يقول الخازن مبيناً تعليق عمر وغيره - رضي الله عنهم - عند سماع هذه الآية: "قال عمر ﷺ: إن الله بايعك وجعل الصفقتين لك، وقال الحسن: اسمعوا إلى بيعة ربيحة بايع الله بها كل مؤمن، وعنه قال: إن الله سبحانه أعطاك الدنيا فاشتر الجنة ببعضها، وقال قتادة: ثامنهم فأغلى ثمنهم"(٢).

ويقول الواحدي في أسباب نزول الآية: "قال محمد بن كعب القرظي: لما بايعت الأنصار رسول الله ﷺ ليلة العقبة بمكة وهم سبعون نفساً قال عبد الله بن رواحة: يا رسول الله اشترط لربك ولنفسك ما شئت فقال: أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأشترك لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم، قالوا: فإذا فعلنا ذلك فماذا لنا؟ قال: الجنة. قالوا: ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل فنزلت هذه الآية"(٣).

ويقول الإمام الشوكاني في بيان معنى الآية: "وقوله: (وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن) إخبار منه سبحانه أن فريضة الجهاد واستحقاق الجنة بها قد ثبت الوعد بها من الله في التوراة والإنجيل كما وقع في القرآن، وقوله: (ومن أوفي بعهده من الله) فيه من تأكيد الترغيب للمجاهدين في الجهاد والتنشيط لهم على بذل الأنفس والأموال ما لا يخفى فإنه أولا قد أخبر بأنه اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، وجاء بهذه العبارة الفخيمة، وهي كون الجنة قد صارت ملكاً لهم، ثم أخبر ثانياً بأنه قد وعد بذلك في كتبه المنزلة، ثم أخبر بأنه بعد هذا الوعد الصادق لابد من حصول الموعود به؛ فإنه لا

(١) تفسير ابن كثير ٢/٣٥٥-٣٥٦.
(٢) تفسير الخازن ٣/١٩٣.
(٣) أسباب النزول للواحدي ١٩٦-١٩٧.

أحد أوفي بعهده من الله سبحانه، وهو صادق الوعد لا يخلف الميعاد، ثم زادهم سرورا وحبورا فقال: (فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به) أي أظهروا السرور بهذا البيع الذي بايعتم به الله – عز وجل – فقد ربحتم فيه ربحاً لم يربحه أجد من الناس إلا من فعل مثل فعلكم، وهذا فوز لا فوز مثله"(١).

روى البخاري بسنده عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "مثل المجاهد في سبيل الله والله أعلم بمن يجاهد في سبيله كمثل الصائم القائم، وتوكل الله للمجاهد في سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة، أو يرجعه سالماً مع أجر أو غنيمة"(٢).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ، تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ، يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ**﴾ [الصف: ١٠-١٢].

وبالنظر في هذه الآيات نجد فيها من وسائل الترغيب في امتثال أمر الله بالجهاد، فبدأت بالنداء بصفة الإيمان، وهي صفة توجب الامتثال؛ لأن من صفة المؤمن أن يمتثل الأمر، وجاء بعد النداء الاستفهام وفيه تشويق إلى الأمر المعروض، وعرض عليهم الأمر وهو دلالتهم على تجارة تنجيهم من عذاب أليم، وأطلقت الآية على العمل الصالح لفظ التجارة على سبيل الاستعارة لمشابهة العمل الصالح التجارة في طلب النفع من ذلك العمل والتحمل من أجله وعبرت الآية بالمضارع الذي يدل على استمرار الفعل، ثم ذكرت الآية جزاء هذا العمل وهو مما ترغب فيه النفس، ثم بينت أن ذلك هو الفوز العظيم.

يقول الآلوسي عن ما يوحى به المضارع: "والمضارع في الموضعين خبر بمعنى الأمر، أي آمنوا وجاهدوا، والتعبير به للإيذان بوجوب الامتثال، والخطاب إذا كان للمؤمنين الخلص فالمراد تثبتون وتدومون على الإيمان، أو تجمعون بين الإيمان والجهاد، أي بين تكميل النفس وتكميل الغير، وإن كان للمؤمنين ظاهراً فالمراد تخلصون الإيمان"(٣).

(١) فتح القدير ٢/٤٠٧-٤٠٨ بتصرف.
(٢) صحيح البخاري ٢/١٣٥ك الجهاد باب أفضل الناس مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله ورواه النسائي في السنن ٦/١٧ك الجهاد وباب ما تكفل الله لمن يجاهد في سبيله.
(٣) تفسير روح المعاني م١٠ ج٢٨/٢٩ بتصرف.

وقد أمر ربنا – عز وجل – بالثبات عند لقاء العدو، وأمرنا بذكر الله تعالى ودعائه وقت الشدة فمنه النصر، وأمر بطاعته وطاعة رسوله وبالصبر وعدم التنازع حتى لا تضيع قوتهم، يقول سبحانه وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ، وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ [الأنفال: ٤٥-٤٦].

وأمر النبي ﷺ بالصبر عند لقاء الأعداء أيضاً، روى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "**لا تمنوا لقاء العدو فإذا لقيتموهم فاصبروا**"(١).

ويروى أبو داود بسنده عن سالم مولى أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله وكان كاتباً له قال: كتب إليه عبد الله بن أبي أوفى حين خرج إلى الحرورية أن رسول الله ﷺ في بعض أيامه التي لقى فيها العدو قال: "**يأيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله تعالى العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف**" ثم قال: "**اللهم منزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم**"(٢).

فما أعظم الطاعة والوفاء بعهدنا مع الله ومع رسوله ﷺ!.

(١) صحيح البخاري ١٧٤/٢ ك الجهاد باب لا تمنوا لقاء العدو.
(٢) سنن أبي داود ٤٢/٣-٤٣ ك الجهاد باب في كراهة تمني لقاء العدو.

المبحث الثالث
جزاء الوفاء بالعهد
وعقاب نقض العهد

أ- جزاء الوفاء بالعهد:

لما كان العهد عقداً بين المرء وربه، وتعهداً بالوفاء بما عاهد الله - سبحانه وتعالى - عليه فإن من الضروري أن يلتزم المرء بالوفاء، لكن الناس متفاوتون في الاستجابة للأوامر والنواهي، فمنهم من يلتزم الوفاء، ومنهم من ينقض العهد، ولا شك أن هذا التفاوت بطبيعته يؤدي إلى تفاوت في الأجر، وقد قرن ربنا في كتابه بين الأمر بالوفاء وجزاء الوفاء حتى تتضح أهمية الوفاء بالعهد. يقول - سبحانه وتعالى -: ﴿**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ**﴾ [البقرة: ٤٠].

حين نتأمل هذه الآية نجد أن الله تعالى يخاطب بني إسرائيل، يذكرهم بنعمه التي أنعم بها عليهم وهي نعم كثيرة منها أنه - سبحانه وتعالى - أنجاهم من آل فرعون الذين كانوا يسومونهم سوء العذاب ، ومكن لهم في الأرض، وجعلهم أئمة، وجعلهم ملوكاً بعد أن كانوا عبيداً لقبط مصر وغير ذلك من النعم التي يعرفونها، يذكرهم بها ليقوموا بما يجب عليهم نحوها من شكر المنعم وطاعته. ولكن ما السر في تخصيص بني إسرائيل بهذا الخطاب؟

يقول صاحب تفسير المنار: "اختص الله بني إسرائيل بالخطاب اهتماماً بهم، لأنهم أقدم الشعوب الحاملة للكتب السماوية والمؤمنة بالأنبياء المعروفين؛ ولأنهم كانوا أشد الناس على المؤمنين، ولأن في دخولهم في الإسلام من الحجة على النصارى وغيرهم أقوى مما في دخول النصارى من الحجة عليهم"(١).

وقد أتبع سبحانه تذكيرهم بالأمر بالوفاء بعهده سبحانه وتعالى ووعدهم الجزاء على وفائهم، أما العهد هنا فالمراد به ما عرفوه من التوراة، يقول صاحب تفسير المنار: "عهد الله تعالى إليهم يعرف من الكتاب الذي نزله إليهم، فقد عهد إليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وأن يؤمنوا برسله متى قامت الأدلة على صدقهم، وأن يخضعوا لأحكامه وشرائعه، وعهد إليهم أن يرسل إليهم نبياً من بين إخوانهم - أي بني إسماعيل- يقيم شعباً

(١) تفسير المنار ٢٤١/١.

جديداً. هذا هو العهد الخاص المنصوص، ويدخل في عموم العهد عهد الله الأكبر الذي أخذه على جميع البشر بمقتضى الفطرة وهو التدبر والتروي، ووزن كل شيء بميزان العقل والنظر الصحيح، لا بميزان الهوى والغرور، هذا هو عهد الله، وأما عهدهم فهو التمكين في الأرض المقدسة والنصر على الأمم الكافرة، والرفعة في الدنيا، وخفض العيش فيها، ولا شك أن الله تعالى وعدهم أيضاً بسعادة الآخرة"(١).

ويقول الفخر الرازي: "يقول ابن عباس: إن الله تعالى كان قد عهد إلى بني إسرائيل في التوراة أني باعث من بني إسرائيل نبياً أميناً، فمن تبعه وصدق بالنور الذي يأتي به - أي بالقرآن - غفرت له ذنبه، وأدخلته الجنة، وجعلت له أجرين، أجراً باتباع ما جاء به موسى وأجرا باتباع ما جاء به محمد النبي الأمي من ولد إسماعيل"(٢).

كما جعل الله الوفاء بالعهد من البر، والبر هو اسم جامع لأنواع الخير والطاعات المقربة إلى الله تعالى، يقول سبحانه وتعالى: ﴿**لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**﴾ [البقرة: ١٧٧]. تصف الآية الموفين بعهدهم بالصدق، فقد صدقوا في إيمانهم وطلب البر، وخلصت ضمائرهم لله تعالى، وتصفهم بالتلبس بالتقوى، لأنهم اتقوا عقاب الله تعالى حين امتثلوا أمره واجتنبوا نهيه، ورفعت الآية شأنهم فأشارت إليهم باسم الإشارة الذي يدل على سمو مرتبتهم وعلو منزلتهم.

كما أنه سبحانه وتعالى ذكر أن من جزاء الوفاء بالعهد أن يشمل الله الموفين بعهدهم بحبه ورعايته، وأي شيء أعظم من حب الله تعالى؟! فإذا أحب الله عبداً أحبه أهل السماء وأحبه أهل الأرض، وهذا من عظم الجزاء، يقول سبحانه وتعالى: ﴿**بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ**﴾ [آل عمران: ٧٦]، وقد ذكر لنا رسول الله ﷺ قصة رجل من بني إسرائيل استلف مالاً من رجل وعاهده وعاهد الله على السداد، ولما حان وقت السداد حالت الظروف بينه وبين ما يريد، لكنه بدأ في الوفاء بالعهد فأدى الله

(١) المصدر السابق ٢٤١/١ بتصرف.
(٢) تفسير الفخر الرازي م٢ ج٣ ٣٧-٣٨ بتصرف يسير.

عنه، روى البخاري بسنده عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه ذكر رجلاً من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار، فقال: ائتني بالشهداء أشهدهم، فقال: كفى بالله شهيداً، فقال: ائتني بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلاً، قال: صدقت فدفعها إليه إلى أجل مسمى، فخرج في البحر فقضى حاجته ثم التمس مركباً يركبها يقدم عليه للأجل الذي أجله فلم يجد مركباً، فأخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زجج موضعها[1] ثم أتى بها إلى البحر فقال: اللهم إنك تعلم أني كنت تسلفت فلاناً ألف دينار، فسألني كفيلاً فقلت: كفى بالله كفيلاً، وسألني شهيداً فقلت: كفى بالله شهيداً فرضي بك، وإني جهدت أن أجد مركباً أبعث إليه الذي له فلم أقدر، وإني أستودعكها، فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه، ثم انصرف وهو في ذلك يلتمس مركباً يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعل مركباً قد جاء بماله، فإذا الخشبة التي فيها المال فأخذها لأهله حطباً، فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قدم الذي كان أسلفه فأتاه بالألف دينار فقال: والله مازلت جاهداً في طلب مركب لآتيك بمالك، فما وجدت مركباً قبل الذي أتيت فيه، قال: هل كنت بعثت إليَّ بشئ؟ قال: ألم أخبرك أني لم أجد مركباً قبل الذي جئت فيه؟ قال: فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت في الخشبة، فانصرف بالألف الدنيار راشداً"[2].

وفي سورة الأنعام آية ١٦٠ يقول ربنا عز وجل: ﴿**مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ**﴾ فبعد أن توعد المخالفين بين جزاء من أطاع وآمن وعمل الصالحات، فذكر سبحانه وتعالى أنه يضاعف له الثواب، فالمولى - عز وجل - كريم يعامله بفضله، أما من جاء بالسيئة فإن الله سبحانه يعامله بعدله، وختم سبحانه الآية بقوله: (وهم لا يظلمون) أي أنه سبحانه لا ينقص ثواب المطيع ينقص ثواب المطيع ولا يزيد عقاب المسيء، وهكذا ترغبنا الآية في السمع والطاعة والوفاء بالعهد.

روى البخاري ومسلم في صحيحهما عن ابن عباس - رضى الله عنهما - عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه - عز وجل - قال: "**إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين**

(١) زجج موضعها: أي سوى موضع النقر وأصلحه لسان العرب ٢٨٧/٢ مادة زجج.
(٢) صحيح البخاري ٣٨/٢-٣٩ باب الكفالة في القرض والديون.

ذلك فمن هم بحسنة فلم يعلمها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة"(١).

ويقول سبحانه وتعالى مبيناً جزاء الموفين بالعهد الذي قطعوه على أنفسهم مع ربهم في بيعة الرضوان حين بايعوا رسول الله ﷺ على الموت والانتقام لعثمان ﷺ عندما أشيع أنه قتل: ﴿**وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً**﴾ [الفتح: ١٠]، وأعظم به أجرا! أجر الله الكريم سبحانه وتعالى.

وقد جعل الله تعالى الموفين بنذرهم من الأبرار، وبين سبحانه عظم جزاء الأبرار يقول سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً، عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً، يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً**﴾ [الإنسان: ٥-٧]، لقد وفوا ما قطعوه على أنفسهم من عهد ونذر فأحسن الله لهم الجزاء، ويبين الله جزاء الموفين بالعهد في سورة الرعد جزاء عظيماً يقول سبحانه وتعالى: ﴿**الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلاَ يَنقُضُونَ المِيثَاقَ، وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ، وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِراً وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ، جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ، سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ**﴾ [الرعد: ٢٠-٢٤].

لقد جعل الله جنات عدن جزاءهم، يقيمون فيها إقامة دائمة لا تنقطع، لهم فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، يلحق بهم الصالحون من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ليكتمل سرورهم، وتدخل عليهم الملائكة مهنئة بهذا النعيم المقيم، يروي البخاري بسنده عن أي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: "**أعددت لعبادي الصالحين مالا عين**

(١) البخاري ١٢٧/٤ في الرقاب باب من هم بحسنة أو سيئة وأخرجه مسلم ٧٩٦/١ ك الإيمان باب ٥٨ حديث ٣٣١.

رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاقرءوا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين"(١).

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً، حَدَائِقَ وَأَعْنَاباً، وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً، وَكَأْساً دِهَاقاً، لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلاَ كِذَّاباً، جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَاباً**﴾ [النبأ: ٣١-٣٦]. ألا يرغب هذا الجزاء في الوفاء بالعهد؟!.

ب- نقض العهد وعقابه:

أبدأ هذا البحث ببيان معنى النقض كي يكون كل إنسان على علم بما يفعل...

يقول ابن منظور: "النقض: إفساد ما أبرمت من عقد أو بناء، وفي الصحاح: النقض نقض البناء والحبل والعهد، والنقض ضد الإبرام"(٢).

ويقول الراغب: "النقض انتثار العَقْد من البناء والحبل والعِقد، وهو ضد الإبرام، ومن نقض الحبل والعقد استعير نقض العهد قال تعالى: **(الذين ينقضون عهدهم - الذين ينقضون عهد الله - ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها)**"(٣).

يقول ربنا - عز وجل -: ﴿**الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ**﴾ [البقرة: ٢٧]. **فمن المراد بالذين ينقضون عهد الله؟**

يقول الإمام الزمخشري: "المراد بالذين ينقضون عهد الله أحبار اليهود المتعنتون أو منافقوهم أو الكفار جميعاً، والمراد بعهد الله ما ركزه في عقولهم من الحجة على التوحيد كأنه أمر وصاهم به ووثقه عليهم، وهو معنى قوله تعالى: ﴿**وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى**﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وأخذ الميثاق عليهم بأنه إذا بعث إليهم رسول - يصدقه الله بمعجزاته - صدقوه، واتبعوه، ولم يكتموا ذكره فيما تقدمه من الكتب المنزلة عليهم، وقيل: هو أخذ الله العهد عليهم أن لا يسفكوا دماءهم، ولا يبغي بعضهم على بعض، ولا يقطعوا أرحامهم"(٤).

(١) صحيح البخاري ٢١٧/٢ ك بدء الخلق باب ما جاء في صفة الجنة.
(٢) لسان العرب ٢٤٢/٧ مادة نقض.
(٣) المفردات للراغب ٥٠٤ بتصرف.
(٤) تفسير الكشاف ١٢٠/١ بتصرف.

وفي معنى (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) يقول الإمام الآلوسي:

"في المراد بها أقوال، الأول: قال الحسن: رسول الله ﷺ قطعوه بالتكذيب والعصيان، الثاني: القول فإنه تعالى أمر أن يوصل بالعمل فلم يصلوه ولم يعملوا، وظاهر هذا أنها نزلت في المنافقين. الثالث: التصديق بالأنبياء أمروا فقطعوه بتكذيب بعض وتصديق بعض. الرابع: قال قتادة: الرحم والقرابة وظاهره أنه أراد كفار قريش وأشباههم. الخامس: الأمر الشامل لما ذكر مما يوجب قطعه قطع الوصلة بين الله تعالى وبين العبد المقصودة بالذات من كل وصل وفصل، ورجح الإمام الآلوسي هذا الوجه فقال: لأن فيه حمل للفظ على مدلوله من العموم، ولا دليل واضح على الخصوص، ويبين الله عقابهم فيقول سبحانه - (أولئك هم الخاسرون) فذكر (أولئك) إشارة إلى أنهم في المرتبة البعيدة من الذم، وحصر الخاسرين عليهم باعتبار كمالهم في الخسران حيث أهملوا العقل عن النظر، ولم يقتنصوا المعرفة المفيدة للحياة الأبدية، والمسرة السرمدية، واشتروا النقص بالوفاء، والفساد بالصلاح، والقطيعة بالصلة، والثواب بالعقاب، فضاع منهم الطلبتان - رأس المال والربح - وحصل لهم الضرر الجسيم، وهذا هو الخسران العظيم"(١).

وبين سبحانه عقاب الناكثين من بني إسرائيل بعد أن فصل ما أخذه عليهم وكيف نكثوا، يقول - جل شأنه -: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ، وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لاَ تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلاَ تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ، ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ القِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ العَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ، أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ العَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ**﴾ [البقرة: ٨٣-٨٦].

لقد توعدهم الله بالخزي العاجل في الحياة الدنيا، والعذاب الآجل في الآخرة لقاء نكثهم الوعد، ونقضهم العهد، فلا يخفف عنهم عذاب الله يوم القيامة، ولن يجدوا منه مخلصاً؟

(١) تفسير الآلوسي ١/٢١١-٢١٢ بتصرف.

ويقول سبحانه - بعد أن بين صفات عباد الرحمن - مبيناً جزاء الناكثين الذين يشركون مع الله إلها غيره، أو يقتلون النفس التي حرم الله بغير الحق، أو يزنون يقول: ﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً، وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً، وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً، إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَراً وَمُقَاماً، وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً، وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً، يُضَاعَفْ لَهُ العَذَابُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً**﴾ [الفرقان: ٦٣-٦٩].

إنه عقاب يناسب جرمهم، يضاعف الله لهم العذاب يوم القيامة ويخلدون فيه مهانين.

ونقض العهد من صفات المنافقين، والمنافقون في الدرك الأسفل من النار، يقول الله تعالى: ﴿**إِنَّ المُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً**﴾ [النساء: ١٤٥].

روى عبد الله بن عمرو بن العاص - رضى الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: "**أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**"(١).

والغادر يجيء يوم القيامة له لواء يعرف به بين الناس، روى الإمام النووي عن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "**لكل غادر لواء عند استة يوم القيامة يرفع له بقدر غدره، ألا ولا غادر أعظم غدراً من أمير عامة**"(٢).

وروى ابن عمر - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: "**إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة فيقال: هذه غدرة فلان ابن فلان**"(٣).

وروى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى: "**ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر جيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره**"(٤).

فما أقبح الغدر! وما أفظع عقابه! ألا فليأخذ العقلاء عبرة من ذلك، ولا ينقضوا ما يقطعون، فعقاب الله شديد، وليس سبحانه بظلام للعبيد.

(١) صحيح البخاري ١٥/١ ك الإيمان باب علامة المنافق.
(٢) رياض الصالحين ٥٠٧ حديث ١٥٨٤.
(٣) سنن أبي داود ٨٢/٣-٨٣ ك الجهاد باب في الوفاء بالعهد.
(٤) صحيح البخاري ٣٤/٢ ك الإجارة باب إثم من منع أجر الأجير.

المبحث الرابع
أمثلة للوفاء بالعهد
وأمثلة لنقض العهد

اشتمل القرآن الكريم على ذكر أمثلة للموفين بعهدهم، والناقضين عهدهم حتى يقارن القارئ أو السامع بين الأمرين، فيختار عن اقتناع ويفرق بين الأمرين فتتضح الأحوال فبالضد تتميز الأشياء. وسوف أبدأ بذكر أمثلة الوفاء.

أ – أمثلة للوفاء بالعهد في القرآن الكريم:

يقول الله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً، لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ [الأحزاب: ٢٣-٢٤].

روى الواحدي في أسباب النزول بسنده عن أنس ﷺ قال: غاب عمي أنس ابن النضر - وبه سميت أنسا - عن قتال بدر، فشق عليه لما قدم، وقال: غبت عن أول مشهد شهده رسول الله ﷺ والله لئن أشهدني الله سبحانه قتالاً ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال: اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء المشركون واعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني المسلمين - ثم مشى بسيفه، فلقيه سعد بن معاذ فقال: أي سعد، والذي نفسي بيده إن لأجد ريح الجنة دون أحد، فقاتلهم حتى قتل، قال أنس، فوجدناه بين القتلى به بضع وثمانون جراحة من بين ضربة بالسيف، وطعنة بالرمح، ورمية بالسهم، وقد مثلوا به، وما عرفناه حتى عرفته أخته ببنانه، ونزلت هذه الآية: (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) قال: وكنا نقول: أنزلت هذه الآية فيه وفي أصحابه"(١).

وروى الإمام مسلم بسنده عن أنس قال: كان أنس عمي الذي سميت به لم يشهد مع رسول الله ﷺ بدرا، فشق عليه. قال: أول مشهد شهده رسول الله ﷺ غيبت عنه، وإن أراني الله مشهداً فيما بعد مع رسول الله ﷺ ليراني الله ما أصنع، قال: فهاب أن يقول غيرها، قال: فشهد مع رسول الله ﷺ يوم أحد، قال: فاستقبل سعد بن معاذ، فقال له

(١) أسباب النزول للواحدي ٢٦٥-٢٦٦ ورواه مسلم بلفظ مقارب ٣٥٦/٦ ك الجهاد باب ١٤.

أنس: يا أبا عمرو أين؟ فقال: واها لريح الجنة، أجهده دون أحد. قال فقاتلهم حتى قتل، قال: فوجد في جسده بضع وثمانون من بين ضربة وطعنة ورمية. قال: فقالت أخته عمتي الربيع بنت النضر: فما عرفت أخي إلا ببنانه ونزلت هذه الآية: (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينظر وما بدلوا تبديلا) فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه"(١). لقد وعد الله أن يريه ما يصنع من بطولة فصدق فصدقه الله.

ومن المواقف البطولية التي أظهرت صدق العهد وصدق الوفاء ما روته كتب السيرة عن استشهاد حمزة ﷺ يقول ابن هشام:

"يقول وحشي: والله إني لأنظر إلى حمزة يهد الناس بسيفه ما يليق به شيئاً - أي لا يترك ولا يبقي - مثل الجمل الأورق إذ تقدمني إليه سباع بن عبد العزي، فقال له حمزة: هلم إلى يابن مقطعة البظور، فضربه ضربة فكان ما أخطأ رأسه، وهززت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه، فوقعت في ثنته حتى خرجت من بين رجليه، فأقبل نحوي فغلب فوقع، وأمهلته حتى إذا مات جئت فأخذت حربتي، ثم تنحيت إلى المعسكر، ولم تكن لي بشيء حاجة غيره.

وكافأت هند بنت عتبة وحشياً كما وعدته، فأعطته قلائدها وقرطها وخدمها، وأعتق، وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها، فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها، وعندما رآه رسول الله حزن حزناً شديداً منهم، وقال: لن أصاب بمثلك أبداً ولئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثلن بسبعين منهم، فنزل قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ، وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ**﴾ [النحل: ١٢٦-١٢٧] فعفى وصبر ونهى عن المثلة"(٢).

ومن الصادقين الذين قضوا نحبهم الداعية الأول مصعب بن عمير:

لقد كان مصعب قبل إسلامه فتى مدللاً مرفهاً، فلما اعتنق الإسلام حاولت أمه أن تضيق عليه فامتنعت عن الإنفاق عليه حتى يرجع عن الإسلام، لكنه فضل الحياة الخشنة مع الإسلام وكان يحمل لواء المهاجرين في غزوة أحد، يقول ابن إسحاق: "وقاتل

(١) صيح مسلم ٦/٣٥٥-٣٥٦ ك الجهاد باب ١٤ ثبوت الجنة للشهيد.
(٢) سيرة ابن هشام ٣/١٢ وما بعدها بتصريف.

معصب بن عمير دون رسول الله ﷺ حتى قتل، وكان الذي قتله ابن قمئة وهو يظن أنه رسول الله ﷺ"[١]. يروي البخاري بسنده عن خباب بن الأرت قال: هاجرنا مع النبي ﷺ نبتغي وجه الله، فوجب أجرنا على الله، فمنا من مضى أو ذهب لم يأكل من أجره شيئا، كان منهم مصعب بن عمير، قتل يوم أحد لم يترك إلا نمرة[٢] كنا إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطى بها رجلاه خرج رأسه، فقال لنا النبي ﷺ غطوا بها رأسه واجعلوا على رجليه الإذخر[٣] أو قال: ألقوا على رجله من الإذخر، ومنا من قد أينعت له ثمرته فهو يَهْدِبُها"[٤] فهل بعد ذلك من صدق؟!

ومن الشهداء الذين قضوا نحبهم، فصدقوا عهدهم حنظلة بن أبي عامر ابن صيفي.

لقد كان حنظلة في ليلة عرسه الأولى فلما سمع هاتف الجهاد خرج مسرعاً ولم يغتسل، فلما استشهد غسلته الملائكة، يقول ابن كثير:

"ومن هؤلاء حنظلة الذي يعرف بحنظلة الغسيل؛ لأنه غسلته الملائكة، التقى هو وأبو سفيان بن حرب فلما علاه حنظلة رآه شداد بن الأسود، فضربه شداد فقتله فقال رسول الله ﷺ: "**إن صاحبكم لتغسله الملائكة فاسألوا أهله ما شأنه**" فسئلت صاحبته جميلة بنت أبي ابن سلول - وكانت عروساً عليه تلك الليلة - فقالت: خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة، فقال رسول الله ﷺ: "**كذلك غسلته الملائكة**"[٥].

ومن هؤلاء الذين صدقوا ابن السكن ومن معه من الأنصار.

يقول ابن هشام: "قال ابن إسحاق: وقال رسول الله ﷺ حين غشيه القوم: **من رجل يشري لنا نفسه؟** فقام زياد بن السكن في نفر خمسة من الأنصار - وبعض الناس يقول: إنما هو عمارة بن زيد بن السكن - فقاموا دون رسول الله ﷺ رجلاً رجلاً ثم رجلاً يقتلون دونه، حتى كان آخرهم زياد أو عمارة، فقاتل حتى أثبتته الجراحة، ثم فاءت فئة من المسلمين،

(١) المصدر السابق ٣/١٥.
(٢) نمرة: بردة من صوف تلبسها الأعراب ٢/١٥٤ القاموس المحيط فصل النون باب الراء.
(٣) الأذخر: حشيش طيب الريح القاموس المحيط ٢/٣٥ فصل الذال باب الراء.
(٤) يَهْدِبُها: يجتنيها المصدر السابق ١/١٤٥ والحديث أخرجه البخاري ٣/٢١ ك المغازي باب غزوة أحد.
(٥) البداية والنهاية ٢/٤٢٩-٤٣٠.

فأجهضوهم عنه - أي غلبوهم وأزالوهم -فقال رسول الله ﷺ: **أدنوه مني،** فأدنوه منه فوسده قدمه، فمات وخده على قدم رسول الله ﷺ"(١).

فهذه صورة من صور البطولة وصدق العهد، وماذا أعظم من أن جادوا بأنفسهم من أجل رسول الله ﷺ؟ لقد أحبوه أكثر من أنفسهم، فبذلوها فداء له ﷺ.

ومنهم خيثمة أبو سعد بن خيثمة وهو من بني السلم وعمرو بن الجموح.

يقول الشيخ الغزالي -رحمه الله - في فقه السيرة: "روى أن خيثمة قتل ابنه في معركة بدر، فجاء إلى رسول الله ﷺ يقول: "لقد أخطأتني وقعة بدر وكنت –والله - عليها حريصاً، حتى ساهمت ابني في الخروج، فخرج في القرعة سهمه، فرزق الشهادة، وقد رأيت البارحة ابني في النوم في أحسن صورة يسرح في ثمار الجنة وأنهارها، يقول: الحق بنا ترافقنا في الجنة، فقد وجدت ما وعدني ربي حقا. ثم قال: وقد أصبحت يا رسول الله مشتاقاً إلى مرافقته، وقد كبرت سني ورق عظمي، وأحببت لقاء ربي، فادع الله يا رسول الله أن يرزقني الشهادة ومرافقة ابني في الجنة، فدعا رسول الله ﷺ فقتل بأحد شهيداً.

وكان عمرو بن الجموح أعرج شديد العرج، وكان له أربعة أبناء شباب يغزون مع رسول الله ﷺ فلما توجه إلى أحد أراد أن يخرج معه فقال له بنوه: إن لله قد جعل لك رخصة فلو قعدت ونحن نكفيك وقد وضع الله عنك الجهاد. فأتى عمرو رسول الله ﷺ فقال: إن بني هؤلاء يمنعونني أن أجاهد معك، ووالله إني لأرجو أن استشهد فأطأ بعرجتي هذه الجنة، فقال له رسول الله ﷺ: "**أما أنت فقد وضع الله عنك الجهاد. وقال لبنيه: وما عليكم أن تدعوه لعل الله - عز وجل - أن يرزقه الشهادة؟**" فخرج مع رسول الله ﷺ فقتل يوم أحد شهيداً"(٢).

والأمثلة كثيرة لمن شملتهم الآية "من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه..."، وما ذكرت فيه الكفاية.

(١) ابن هشام ٢٢/٣.
(٢) فقه السيرة للغزالي ٢٧٤-٢٧٥.

ب – أمثلة لنقض العهد:

لقد اشتمل القرآن الكريم على ذكر أمثلة لنقض العهد لنتبين قبح هذا الفعل، ولنحذر الوقوع فيه، فالقرآن الكريم كتاب هداية للبشرية، وذكر المثال أوقع في نفوس السامعين، ومن هذه الأمثلة:

١ – رجوع عبد الله بن أبي بثلث الجيش في غزوة أحد:

يقول الله تعالى: ﴿**وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بَأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ**﴾ [آل عمران: ١٦٧].

يقول الإمام ابن جرير الطبري: "خرج رسول الله ﷺ حين خرج إلى أحد في ألف رجل من أصحابه، حتى إذا كانوا بالشوط بين أحد والمدينة انخزل عنهم عبد الله بن أبي ابن سلول بثلث الناس، فقال: أطاعهم فخرج وعصاني، والله ما ندري علام نقتل أنفسنا ههنا أيها الناس، فرجع بمن اتبعه من الناس من قومه من أهل النفاق وأهل الريب، واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام - أخو بني سلمة - يقول: يا قوم أذكركم الله أن تخذلوا نبيكم وقومكم عندما حضر من عدوهم، فقالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم، ولكنا لا نرى أن يكون قتال، فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم قال: أبعدكم الله أعداء الله فسيغني الله عنكم، ومضى رسول الله ﷺ"(١).

وقد حكم ربنا - عز وجل - عليهم بالنفاق، فقال مظهراً ما في قلوبهم تجاه رسول الله ﷺ والمؤمنين حين قال: (وليعلم الذين نافقوا) وحكم عليهم بعض العلماء بالكفر أخذاً من قوله تعالى: (هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان).

يقول الفخر الرازي: "قال أكثر العلماء: إن هذا تنصيص من الله تعالى على أنهم كفار، قال الحسن: إذا قال الله تعالى (أقرب) فهو اليقين بأنهم مشركون، وهو مثل قوله: (مائة ألف أو يزيدون) فهذه الزيادة لا شك فيها، وأيضاً المكلف لا يمكن أن ينفك عن الإيمان والكفر، فلما دلت الآية على القرب لزم حصول الكفر"(٢).

(١) جامع البيان ١١١/٤ وسرة ابن هشام ٦/٣-٧،
(٢) تفسير الفخر الرازي م٥ ج٨٩/٩.

فكم في المجتمعات الآن أمثال عبد الله بن أبي الذين يظهرون وجوههم القبيحة وقت الشدة؟! وجوه الغدر والخيانة ويبررون مواقفهم لكن الله مطلع على قلوبهم.

٢- نقض الذين أوتوا الكتاب الميثاق الذي أخذه الله عليهم:

يقول ربنا - عز وجل -: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ**﴾ [آل عمرا: ١٨٧].

تبين الآية أن الله تعالى أخذ الميثاق على الذين أوتوا الكتاب أن يذكروا صفات رسول الله ﷺ ولكنهم نبذوا عهد الله وراءهم، ولم يبالوا به نظير متاع زائل فخسروا الدنيا والآخرة، يقول الإمام الخازن - مبيناً المراد من الذين أوتوا الكتاب -: "اليهود والنصارى، والمراد منهم العلماء خاصة، وأخذ الميثاق هو التوكيد والإلزام لبيان ما أوتوه من الكتاب، وهو قوله تعالى: (لتبيننه للناس) حتى يعلموه، وذلك أن الله أوجب على علماء التوراة والإنجيل أن يشرحوا للناس ما في هذين الكتابين من الدلائل الدالة على نبوة محمد ﷺ، ولا يخفون ذلك عن الناس فطرحوا الكتاب أو الميثاق، وتركوا العمل به، واشتروا به ثمناً قليلاً من المآكل والرشا التي كانوا يأخذونها من عوامهم وسفلتهم فبئس ما فعلوا"(١).

ويرى الإمام ابن جرير أن المراد بالذين أوتوا الكتاب من أوتي علماً بأمر الدين، يروي بسنده عن قتادة قال في معنى الآية: "هذا ميثاق أخذه الله على أهل العلم، فمن علم شيئاً فليعلمه، وإياكم وكتمان العلم؛ فإن كتمان العلم هلكة، ولا يتكلفن رجل ما لا علم له به، فيخرج من دين الله فيكون من المتكلفين، كان يقال: مثل علم لا يقال به كمثل كنز لا ينفق منه، ومثل حكمة لا تخرج كمثل صنم قائم لا يأكل ولا يشرب، وكان يقال: طوبى لعالم ناطق، وطوبى لمستمع واع، هذا رجل علم علماً فعلمه وبذله ودعا إليه، ورجل سمع خيراً فحفظه ووعاه وانتفع به"(٢).

فمن علِم وعلّم الناس ما علم كان من الموفين بعهدهم، ومن كتم العلم كان من الناقضين عهدهم الناكثين أيمانهم.

(١) تفسير الخازن ١/٥٩٦-٥٩٧ بتصرف.
(٢) جامع البيان ٤/١٣٥.

ويحذر الرسول ﷺ من كتمان العلم ببيان عقابه فيقول ﷺ: "**من سئل عن علم ثم كتمه ألجم يوم القيام بلجام من النار**"(١).

وعنه ﷺ قال: "**من تعلم علماً مما يبتغي به وجه الله - عز وجل - لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة**"(٢).

٣- نقض من ولى مال اليتيم عهده:

لقد أوصى ربنا بالأيتام أن نرعاهم ونعاملهم كما نعامل أبناءنا، وبأموالهم أن نحافظ عليها ونرعاها، ولا نتبدل شيئاً منها بأموالنا، وعد عدم إتيان اليتامى أموالهم إن أنس الأوصياء منهم رشدا وصلاحاً أو استبدالها أو أكلها ظلماً كبيراً، فقال سبحانه وتعالى: ﴿**وَآتُوا اليَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُوا الخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً**﴾ [النساء:٢].

وأباح للأوصياء أن يأكلوا من مال اليتامى إذا كانوا فقراء فقال سبحانه وتعالى: ﴿**وَمَن كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً**﴾ [النساء: ٦].

روى أبو داود بسنده عن عمرو بن شعيب عن جده أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: إني فقير ليس لي شيء، ولي يتيم، قال، فقال: "**كل من مال يتيمك غير مسرف،، ولا مبادر ولا متأثل**"(٣).

فواجب الأوصياء السمع والطاعة لما أمرهم به المولى - عز وجل - فيإن أطاعوا فقد وفوا عهدهم مع الله وإن عصوا فقد نقضوا عهدهم.

يروي الإمام الواحدي في سبب نزول قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ اليَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً**﴾ [النساء: ١٠] يقول: "قال مقاتل بن حيان: نزلت في رجل من غطفان يقال له مرثد بن زيد، ولى مال ابن أخيه وهو يتيم صغير، فأكله، فأنزل الله فيه هذه الآية"(٤).

(١) سنن الترمذي ٢٩/٥ ك العلم باب ٣ وقال: حديث حسن.
(٢) سنن أبي داود ٣٢١/٣ ك العلم باب في طلب العمل لغير الله تعالى.
(٣) المصدر السابق ١١٤/٣ ك الوصايا باب ما لولي اليتيم أن ينال من مال اليتيم.
(٤) أسباب النزول للواحدي ١٠٦.

فهذه الآية تتوعد آكل مال اليتيم ظلماً - أي بلا سبب - بعذاب شديد من المولي - عز وجل -، وقد عد رسول الله ﷺ أكل مال اليتيم من الموبقات، فقال ﷺ: "**اجتنبوا السبع الموبقات**"، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: "**الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**"(١).

يقول ابن كثير روى ابن أبي حاتم بسنده عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قلنا يا رسول الله ما رأيت ليلة أسرى بك؟ قال: "**انطلق بي إلى خلق من خلق الله كثير، رجال كل رجل منهم له مشفر كمشفر البعير، وهو موكل بهم رجال يفكون لحاء أحدهم، ثم يجاء بصخرة من نار فتقذف في فيّ أحدهم حتى يخرج من أسفله، ولهم جؤار وصراخ، قلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا**"(٢).

وقد اشتملت هذه الرواية على وعيد لأكلة مال اليتامى بذكر حالهم، ليتعظ المتعظون ولينتفع به كل ذي لب، ومن لم تنفعه المواعظ فعقاب الله يكفيه.

٤ – نقض بني قينقاع العهد مع رسول الله ﷺ:

لما هاجر رسول الله ﷺ والمسلمون إلى المدينة كان مما فعله لبناء المجتمع الجديد أن مد يده إلى اليهود، وعقد معاهدة وجعل لليهود نصيباً من بنود هذه المعاهدة وهى تظهر مدى حرص الرسول ﷺ على ترابط المجتمع الجديد، وكان منها: "أن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، وأن ليهود بني النجار والحارث وساعدة وبني جشم وبني الأوس مثل ما ليهود بني عوف، وأن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم، وأنه لم يأثم امرؤ بحليفه، وأن النصر للمظلوم، وأن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره، وأن بينهم النصر على من دهم يثرب وأن الله جار لمن بر واتقى"(٣)، وكان من واجب اليهود أن يحفظوا عهدهم ولا ينقضوه، لكن الغدر طبعهم، والحقد يملأ قلوبهم وزاد

(١) صحيح البخاري ١٨٥/٤ ك المحاربين باب رمي المحصنات.
(٢) تفسير ابن كثير ٤٥٦/١.
(٣) سيرة ابن هشام ٩٠/٢ بتصرف.

ذلك الحقد عندما انتصر المسلمون في بدر، "قال ابن إسحاق: كان من أمر بني قينقاع أن رسول الله ﷺ – جمعهم بسوق بني قينقاع ثم قال: يا معشر اليهود أحذروا من الله - عز وجل - مثل ما نزل بقريش من النقمة، وأسلموا فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل، تجدون ذلك في كتابكم وفي عهد الله إليكم. قالوا: يا محمد إنك ترى أنا كقومك؟! لا يغرنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب فأصبت فرصة، إنا والله لئن حاربتنا لتعلمن أنا نحن الناس فأنزل الله: (قل للذين كفروا ستغلبون) إلى قوله: (لأولىالأنصار)"(١).

"وروى ابن هاشم عن عبد الله بن جعفر بن المسور بن مخرمة عن أبي عوانة: أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها، فباعته بسوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ بها، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها، فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها، فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا منها فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله – وكان يهودياً - وشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على يهود، فغضب المسلمون فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع، فكان هؤلاء أول يهود نقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ، فحاصرهم رسول الله ﷺ مدة من الزمن حتى نزلوا على حكمه، فقام إليه عبد الله بن أبي فقال: يا محمد، أحسن في مواليّ، وكانوا حلفاء الخزرج - فأبطأ عليه رسول الله ﷺ فقال: يا محمد أحسن في موالي، فأعرض عنه رسول الله ﷺ فأدخل يده في جيب درع رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ: أرسلني وغضب رسول الله ﷺ حتى رئى لوجه ظللا، ثم قال: ويحك أرسلني، قال: لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي، أربعمائة حاسر وثلثمائة دراع قد منعوني من الأحمر والأسود تحصدهم في غداة واحدة، إني والله امرؤ أخشى الدوائر. فقال ﷺ: هم لك، وأمرهم أن يخرجوا من المدينة ولا يجاوروه بها، فخرجوا إلى أذرعات بالشام(٢).

روى الإمام السيوطي في أسباب النزول سبب نزول الآية ٥١ من سورة المائدة وهي قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا اليَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ...** ﴾ الآية أن سبب نزولها موالاة عبد الله بن أبي ليهود بني قينقاع وتبرؤ عبادة بن الصامت من حلفهم فيقول: "أخرج ابن اسحاق وابن جرير وابن حاتم والبيهقي أن عبادة بن الصامت

(١) سيرة ابن هشام ٣٠٦/٢ بتصرف وأسباب النزول للسيوطي الآية ١٢ من سورة آل عمران والدر المنثور ٩/٢.
(٢) سيرة ابن هشام ٣٠٧/٢-٣٠٨ بتصرف.

قال: لما حاربت بنو قينقاع تشبث بأمرهم عبد الله بن أبي بن سلول وقام دونهم، ومشى عبادة ابن الصامت إلى رسول الله ﷺ وتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم، وكان أحد بني عوف من الخزرج وله من حلفهم مثل الذي لهم من عبد الله ابن أبي فخلعهم إلى رسول الله ﷺ، وتبرأ من حلف الكفار وولايتهم. قال: ففيه وفي عبد الله بن أبي نزلت القصة في المائدة (يأيها الذين أمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) الآية[1].

فهؤلاء اليهود نقضوا عهدهم مع رسول الله ﷺ كما نقض عبد الله بن أبي عهده أيضاً مع رسول الله ﷺ وظل على موالاته اليهود بحجة أنه يخشى الغدر وهو كاذب والله يعلم إنه لكاذب.

٥ – نقض بني النضير عهدهم مع رسول الله ﷺ:

اليهود هم اليهود جبلوا على الغدر والخيانة، ولا أحد منهم أصدق لعهده من غيره، فهم كما وصفهم المولى – عز وجل – بما استحقوا به اللعن: ﴿ **لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ**﴾

[المائدة ٧٨].

وهذه صورة ثانية لغدر اليهود أنزل الله – عز وجل – في شأنها قرأناً يتلى، لتتناقل الأجيال غدرهم إلى قيام الساعة، إنهم بنو النضير الذين دبروا لقتل الرسول ﷺ غيلة، ولكنهم يمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين.

يقول الإمام البغوي في التفسير: "قال المفسرون: نزل هذه السورة – أي سورة الحشر – في بني النضير، وذلك أن النبي ﷺ دخل المدينة فصالحته بنو النضير على أن لا يقاتلوه ولا يقاتلوا معه، فقبل ذلك رسول الله ﷺ منهم، فلما غزا رسول لله ﷺ بدراً وظهر على المشركين قالت بنو النضير: والله إنه النبي الذي وجدنا نعته في التوراة، لا ترد له راية، فلما غزا أحدا وهزم المسلمون ارتابوا وأظهروا العداوة لرسول الله ﷺ والمؤمنين، ونقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ، وركب كعب بن الأشرف في أربعين راكباً من اليهود إلى مكة فأتوا قريشاً فحالفوهم وعاقدوهم على أن تكون كلمتهم واحدة على محمد ﷺ، ودخل أبو سفيان في أربعين، وكعب في أربعين من اليهود

(١) أسباب النزول للسيوطي هامش المصحف ١٥٨–١٥٩ والدر المنثور ٢٩١/٢.

المسجد الحرام وأخذ بعضهم على بعض الميثاق بين الأستار والكعبة، ثم رجع كعب وأصحابه إلى المدينة، ونزل جبريل وأخبر النبي ﷺ بما تعاقد عليه كعب وأبو سفيان، فأمر النبي ﷺ بقتل كعب فقتله محمد بن مسلمة، وكان النبي ﷺ اطلع منهم على خيانة حين أتاهم يستعينهم في دية المسلمين اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري في منصرفه من بئر معونة، فهموا بطرح حجر عليه من فوق الحصن، فعصمه الله وأخبره بذلك، فلما قتل كعب بن الأشرف أصبح رسول الله ﷺ وأمر الناس بالمسير إلى بني النضير، وكانوا بقرية يقال لها زهرة، فلما سار إليهم النبي ﷺ وجدهم ينوحون على كعب بن الأشرف، فقالوا: يا محمد واعية على أثر واعية وباكية على أثر باكية؟ قال: "**نعم**"، قالوا: ذرونا نبكي شجوناً ثم ائتمر بأمرك، فقال النبي ﷺ: "**اخرجوا من المدينة**". فقالوا: الموت أقرب إلينا من ذلك، فتنادوا بالحرب، وأذنوا بالقتال، ودس المنافقون عبد الله بن أبي وأصحابه إليهم أن لا تخرجوا من الحصن، فإن قاتلوكم فنحن معكم ولا نخذلكم ولننصرنكم ولئن أخرجتم لنخرجن معكم، فذُرّبوا على الأزقة وحصنوها، ثم إنهم أجمعوا على الغدر برسول الله ﷺ فأرسلوا إليه أن أخرج في ثلاثين رجلاً من أصحابك وليخرج منا ثلاثون حتى نلتقي بمكان بيننا وبينك فيستمعوا منك، فإن صدقوك وآمنوا بك آمنا كلنا، فخرج النبي ﷺ في ثلاثين من أصحابه، وخرج إليه ثلاثون حبراً من اليهود حتى إذا كانوا في براز من الأرض قال بعض اليهود لبعض: كيف تخلصون إليه ومعه ثلاثون رجلاً من أصحابه كلهم يحب أن يموت قبله؟ فأرسلوا إليه كيف نفهم ونحن ستون رجلاً؟ أخرج في ثلاثة من أصحابك ونخرج إليك في ثلاثة من علمائنا فيستمعوا منك، فإن آمنوا بك آمنا كلنا بك وصدقناك، فخرج النبي ﷺ في ثلاثة من أصحابه، وخرج ثلاثة من اليهود، واشتملوا على الخناجر وأرادوا الفتك برسول الله ﷺ فأرسلت امرأة ناصحة من بني النضير إلى أخيها وهو رجل مسلم من الأنصار فأخبرته بما أراد بنو النضير من الغدر برسول الله ﷺ، فأقبل أخوها سريعاً حتى أدرك النبي ﷺ فسارّه بخبرهم قبل أن يصل النبي ﷺ إليهم، فرجع النبي ﷺ فلما كان الغد غدا عليهم رسول الله ﷺ بالكتائب فحاصرهم إحدى وعشرين ليلة فقذف الله في قلوبهم الرعب، وأيسوا من نصر المنافقين، فسألوا رسول الله ﷺ الصلح فأبى إلا أن يخرجوا من المدينة على ما يأمرهم به النبي ﷺ فقبلوا ذلك فصالحهم على الجلاء، وعلىأن لهم ما أقلت الإبل من أموالهم إلا الحلقة وهي السلاح، وعلى أن يخلوا لهم ديارهم وعقارهم وسائر أموالهم، فحمل كل أهل ثلاثة أبيات على بعير

ما شاءوا من متاعهم، ولنبي الله ﷺ ما بقى، وخرجوا من المدينة إلى الشام إلى أذرعات وأريحاء إلا أهل بيتين منهم آل أبي الحقيق وآل حيى بن أخطب فإنهم لحقوا بخيبر، ولحقت طائفة منهم بالحيرة"(١).

لقد ظنوا أن حصونهم تمنعهم من سلطان الله، ولكن الله العزيز لا يمنع من بطشه أحد إذا أراد، فألقى فى قلوبهم الرعب، وخربوا بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين، لتكون في ذلك عبرة لكل معتبر من أن نقض العهد عاقبته وخيمة، وشره مستطير.

٦- نقض بني قريظة عهدهم مع رسول الله ﷺ:

لقد كان يهود بني قريظة ضمن اليهود الذين عاهدوا رسول الله ﷺ عند قدومه المدينة، لكنهم كغيرهم من اليهود نقضوا عهدهم مع رسول الله ﷺ في غزوة الخندق، ولقد تأثر اليهود الذين أجلاهم رسول الله ﷺ عن المدينة فقاموا بتأليب الأحزاب، وتمكنوا من استمالة يهود بني قريظة إليهم مما جعلهم ينقضون العهد مع رسول الله ﷺ.

يقول الحافظ ابن كثير: "وكان سبب قدوم الأحزاب أن نفراً من أشراف يهود بني النضير الذين كانوا قد أجلاهم رسول الله ﷺ من المدينة إلى خيبر منهم سلام بن أبي الحقيق، وسلام بن مشكم، وكنانة بن الربيع خرجوا إلى مكة فاجتمعوا بأشراف قريش، وألبوهم على حرب النبي ﷺ ووعدوهم من أنفسهم النصر والإعانة فأجابوهم إلى ذلك، ثم خرجوا إلى غطفان فدعوهم فاستجابوا لهم أيضاً"(٢).

وكانت بنو قريظة وهم طائفة من اليهود لهم حصن شرقي المدينة ولهم عهد من النبي ﷺ وذمة، وخرج حيى بن أخطب النضري حتى أتى كعب بن أسد القرظي فأغراه بنقض العهد مع رسول الله ﷺ وقال له: "جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة، وبغطفان على قادتها وسادتها قد عاهدوني وعاقدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه، فقال له كعب: جئتني والله بذل الدهر وبجهام قد هراق ماءه(٣)، فهو يرعد ويبرق، وليس فيه شيء، ويحك ياحيى فدعني وما أنا

(١) تفسير البغوي ٦/١٤٨-١٥٠.
(٢) تفسير ابن كثير ٣/٤٧٠ بتصرف.
(٣) بجهام قد هراق ماءه: السحاب الذي لا ماء فيه، يقال جاءني بجهام أي بما لا خير فيه المعجم الوجيز ١٢٤ مادة جهم.

عليه فإني لم أر من محمد إلا صدقاً ووفاء، فلم يزل حيى بكعب حتى أقنعه بالخيانة ونقض العهد، وعاهده إن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن يدخل معه في حصنه حتى يصيبه ما أصابه، وانتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ والمسلمين، فأرسل سعد بن معاذ سيد الأوس، وسعد بن عبادة سيد الخزرج، ومعهما عبد الله بن رواحة، وخوات ابن جبير، فقال: انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟ فإن كان حقاً فالحنوا لي لحناً أعرفه، ولا تفتوا في أعضاد الناس، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس، فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم، فيما نالوا من رسول الله ﷺ وقالوا: من رسول الله؟ لا عهد بيننا وبينه ولا عقد، فعادوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا له: "عضل والقارة" أي كغدر عضل والقارة بأصحاب الرجيع، خبيب وأصحابه، فقال رسول الله ﷺ: "**الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين**"(١).

واشتد الحال بالمسلمين وبلغت القلوب الحناجر، وزلزلوا وجاء النصر من عند الله فأرسل الله على الأعداء ريحاً وجنوداً لم يروها ورد الله كيدهم إلى نحورهم، وجاء الدور على اليهود ليلقوا جزاء غدرهم.

روى البخاري بسنده عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: "لما رجع النبي ﷺ من الخندق ووضع السلاح واغتسل أتاه جبريل - عليه السلام - فقال: قد وضعت السلاح والله ما وضعناه فاخرج إليهم، قال: فإلى أين؟ قال: ههنا وأشار إلى بني قريظة فخرج النبي ﷺ إليهم"(٢). فنادي رسول الله ﷺ أصحابه بالسير إليهم.

روى البخاري بسنده أيضاً عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال: قال النبي ﷺ يوم الأحزاب: "**لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة**"، فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلي لم يرد منا ذلك، فذكر ذلك للنبي ﷺ فلم يعنف واحد منهم"(٣).

فساروا إليهم وحمل علىّ راية رسول الله ﷺ وتحصن اليهود في حصونهم ولما رأوا المسلمين وقعوا في رسول الله ﷺ بأقبح مقالة، يكذبونه ويطعنون عليه وينالون من أعراض نسائه، ولما جاء رسول الله ﷺ لقيه على بن أبي طالب وطلب منه ألا يدنون

(١) ينظر فقه السيرة للبوطي ٢١٥، وابن هشام ١٣٨/٣-١٣٩ بتصرف.
(٢) صحيح البخاري، ٣٤/٣ ك المغازي باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب.
(٣) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة والجزء.

من حصون اليهود، فسأله رسول الله ﷺ ولم؟ أظنك سمعت منهم لي أذى؟ قال: نعم. قال رسول الله ﷺ: لو رأوني لما قالوا من ذلك شيئاً، فلما دنا من حصونهم ناداهم: يا إخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته؟! قالوا: يا أبا القاسم ما كنت جهولا. فأمر الرسول ﷺ بحصارهم وظل الحصار مدة طويلة فلما طال الحصار أرسلوا إلى رسول الله ﷺ يعرضون عليه الخروج إلى أذرعات تاركين وراءهم ما يملكون، فأبى رسول الله ﷺ إلا أن ينزلوا على الحكم، فأرسلت بنو قريظة إلى الأوس تقول لهم: ألا تأخذون لإخوانكم مثلما أخذت الخزرج لإخوانهم! فمشى جماعة من الأوس إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا نبي الله، ألا تقبل من حلفائنا مثل الذي قبلت من حُلفاء الخزرج؟! فقال ﷺ: يا معشر الأوس ألا ترضون أن أجعل بيني وبين حلفائكم رجلاً منكم؟ قالوا: بلى. قال فقولوا لهم فليختاروا من شاءوا فاختار اليهود سعد بن معاذ، وكأنما أعماهم القدر عما كتب لهم في لوح حظهم، فأنساهم مقدم سعد إليهم أول نقضهم العهد، وتحذيرهم إياهم، ووقوعهم في رسول الله ﷺ أمامهم، وسبهم المسلمين بغير حق، وأخذ سعد المواثيق على الفريقين أن يسلم كلاهما لقضائه وأن يرضى به، فلما أعطوه المواثيق أمر بني قريظة أن ينزلوا وأن يضعوا السلاح، ففعلوا فحكم فيهم أن تقل المقاتلة، وتقسم الأموال، وتسبى الذرية والنساء، فلما سمع رسول الله ﷺ هذا الحكم قال: والذي نفسي بيده لقد رضى بحكمك هذا الله والمؤمنون وبه أمرت، ثم خرج إلى سوق المدينة فأمر فحفرت بها خنادق ثم جئ باليهود فضربت أعناقهم، ودفنوا في الخنادق ولم يكن يخطر ببالهم أن يكون هذا الحكم من حليفهم سعد بن معاذ، بل كانوا يحسبونه يصنع بهم ما صنع عبد الله بن أبي مع بني قينقاع، ولعل سعداً ذكر أن الأحزاب لو انتصرت بخيانة بني قريظة لما كان أمام المسلمين إلا أن يُستأصلوا وأن يُقتلوا، وأن يمثل بهم، فجزاهم بمثل ما عرضوا المسلمين له"[1].

وفي ذلك يقول ربنا - عز وجل -: ﴿**وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِياً عَزِيزاً، وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً، وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَّمْ تَطَؤُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً**﴾ [الأحزاب ٢٥-٢٧].

(١) حياة محمد ﷺ ٣٤٨-٣٤٩ بتصرف.

وهكذا أنزل الله بهم جزاء عذرهم ونقضهم العهد، وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿وَلاَ يَحِيقُ المَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣]. سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا.

٧- نقض الذين عاهدوا الله إن آتاهم من فضله ليصدقن:

المال عطاء الله، وهو ابتلاء، فبعض الناس إن لم يكن له مال فإنه يدعو الله أن يرزقه مالاً، ويعاهد الله أن يتصدق من المال وأن يعطي حق الله فيه، فإن أعطاه الله أغراه بريق المال فيخاف على نفسه العودة إلى الفقر مرة أخرى فينسى عهده مع الله، أو ينقض هذا العهد، ومن هؤلاء من ذكره المولى – عز وجل - في قوله: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ، فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُم مُّعْرِضُونَ، فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٥-٧٧].

يقول المفسرون في هذه القصة: "أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والطبراني وغيرهم عن أبي أمامة الباهلي قال: جاء ثعلبة بن حاطب إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالاً، قال: ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خيرمن كثير لا تطيقه، قال: يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالاً، قال: ويحك يا ثعلبة: أما تحب أن تكون مثلي؟ فلو شئت أن يسير ربي هذه الجبال معي ذهباً لسارت. فقال: يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالاً، فوالذي بعثك بالحق إن آتاني الله مالاً لأعطين كل ذي حق حقه، قال: ويحك يا ثعلبة قليل تطيق شكره خير من كثير لا تطيقه، قال: يا رسول الله ادع الله تعالى، فقال رسول الله ﷺ: اللهم ارزقه مالاً، قال: فاتخذ غنماً فنمت كما ينمو الدود حتى ضاقت بها المدينة، فتنحى بها فكان يشهد الصلاة بالنهار مع رسول الله ﷺ ولا يشهدها بالليل، ثم نمت كما ينمو الدود فتنحى بها، فكان لا يشهد الصلاة بالليل ولا بالنهار إلا من جمعة إلى جمعة مع رسول الله ﷺ، ثم نمت كما ينمو الدود فضاق بها مكانه، فتنحى بها فكان لا يشهد جمعة ولا جنازة مع رسول الله ﷺ، فجعل يتلقى الركبان ويسألهم عن الأخبار، وفقده رسول الله ﷺ فسأل عنه، فأخبروه أنه اشترى غنماً، وأن المدينة ضاقت به وأخبروه خبره، فقال ﷺ: ويح ثعلبة بن حاطب، ويح ثعلبة بن حاطب، ثم إن الله تعالى أمر رسوله أن يأخذ الصدقات وأنزل: (خذ من أموالهم صدقة) الآية؛ فبعث رسول الله ﷺ رجلين رجلاً من جهينة ورجلاً من بني سلمة يأخذان

الصدقات، وكتب لهما أسنان الإبل والغنم كيف يأخذانها، وأمرهما أن يمرا على ثعلبة وبرجل من بني سليم، فخرجا فمرا بثعلبه فسألا الصدقة، فقال: أرياني كتابكما، فنظر فيه فقال: ما هذه إلا جزية انطلقا حتى تفرغا ثم مرَّا إلى، فانطلقا وسمع بهما السلمي فاستقبلهما بخيار إبله، فقالا: إنما عليك دون هذا، فقال: ما كنت أتقرب إلى الله إلا بخير مالي، فقبلا، فلما فرغا مرا بثعلبة، فقال: أرياني كتابكما، فنظر فيه، فقال: ما هذه إلا جزية انطلقا حتى أرى رأيي، فانطلقا حتى قدما المدينة، فلما رآهما رسول الله ﷺ قال قبل أن يكلمهما: ويح ثعلبة بن حاطب ودعا للسلمى بالبركة، وأنزل الله (ومنهم من عاهد الله) الثلاث الآيات، قال: فسمع بعض أقارب ثعلبة فأتى ثعلبة فقال: ويحك يا ثعلبة أنزل الله فيك كذا وكذا، قال: فقدم ثعلبة على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله هذه صدقة مالي، فقال رسول الله ﷺ: إن الله منعني أن أقبل منك، فجعل يبكي ويحثي التراب على رأسه، فقال رسول الله ﷺ: هذا عملك بنفسك، أمرتك فلم تطعني، فلم يقبل منه رسول الله ﷺ حتى مضى، ثم أتي أبا بكر، فقال: يا أبا بكر اقبل مني صدقتي قد عرفت منزلتي من الأنصار، فقال أبو بكر: لم يقبلها رسول الله وأقبلها؟ فلم يقبلها أبو بكر، ثم ولي عمر فأتاه فقال: يا أبا حفص يا أمير المؤمنين أقبل مني صدقتي، قال: ويثقل عليه بالمهاجرين والأنصار وأزواج النبي ﷺ فقال عمر: لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر أقبلها أنا؟ فأبى أن يقبلها، ثم ولي عثمان فسأله أن يقبل صدقته، فقال: لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر وأنا أقبلها منك؟ فلم يقبلها منه، فهلك في خلافة عثمان وفيه نزلت: (الذين يلمزن المطوعين من المؤمنين في الصداقات)"[1].

وقد رد بعض العلماء ونفوا أن يكون ثعلبة بن حاطب الصحابي هو المراد بذلك، ففي ترجمة ثعلبة أنه صحابي شهد بدرا.

يقول الإمام القرطبي: "قال ابن عبد البر: قيل إن ثعلبة بن حاطب هو الذي نزل فيه (ومنهم من عاهد الله) الآية؛ إذ منع الزكاة، فالله أعلم، وما جاء فيمن شاهد بدرا يعارضه قوله تعالى: (فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم) الآية.

ثم يقول: وثعلبة بدري أنصاري، وممن شهد الله له ورسوله بالإيمان، فما روي عنه غير صحيح. قال أبو عمر: ولعل قول من قال في ثعلبة أنه مانع الزكاة الذي نزلت فيه

(١) فتح القدير للشوكاني ٢/٣٨٥-٣٨٦.

الآية غير صحيح والله أعلم. وقال الضحاك: إن الآية نزلت في رجال من المنافقين نبتل بن الحارث وجد بن قيس ومعتب ابن قشير. وهذا أشبه بنزول الآية فيهم، إلا أن قوله: (فأعقبهم نفاقاً) يدل على أن الذي عاهد الله لم يكن منافقاً من قبل إلا أن يكون المعنى: زادهم نفاقاً ثبتوا عليه إلى الممات وهو قوله تعالى: (إلى يوم يلقونه)"[1].

كما أن في الرواية السابقة ما يدل على أن الآية لم تنزل فيه يدل على ذلك ما يأتي:

أولاً: أن السورة تبين المنافقين فتقول: ﴿**وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ**﴾ [التوبة: ٥٨]، وتقول: ﴿**وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ**﴾ [التوبة: ٦١]. وهذه الآية تقول: ﴿**وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي**﴾ [التوبة: ٤٩]، فالآية تحكم على من عاهدوا الله بالنفاق، وليس المراد شخصاً واحداً، فهي تقول: (فلما ءاتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون، فأعقبهم) بضمائر الجمع، فلو كان واحداً لجاءت الضمائر بالإفراد، وهذا يتناسب مع قول الضحاك السابق.

ثانياً: تقول الرواية: "ثم إن الله تعالى أمر رسول الله ﷺ أن يأخذ الصدقات، وأنزل: (خذ من أموالهم صدقة) فبعث رسول الله ﷺ رجلين يأخذان الصدقات .. وأمرهم أن يمرا على ثعلبة".

وهذه الرواية مخالفة لما هو معروف من أن الزكاة فرضت في السنة الثانية من الهجرة فالحافظ ابن كثير يبين في البداية والنهاية، في الفصل الذي ذكر فيه جملاً من الحوادث في سنة ثنتين من الهجرة يقول: وفيها حولت القبلة، وفيها فرض الصيام صيام رمضان، وفيها فرضت الزكاة ذات النصب، وفرضت زكاة الفطر"[2].

وفي الفقه على المذاهب الأربعة: "وقد فرضت في السنة الثانية من الهجرة"[3].

ويقول الشيخ سيد سابق في فقه السنة: "وكانت فريضة الزكاة بمكة في أول الإسلام مطلقة لم يحدد فيها المال الذي تجب فيه، ولا مقدار ما ينفق منه، وإنما ترك ذلك

(١) تفسير القرطبي ١٩٤/٨.
(٢) البداية والنهاية ٤٠٤/٢ بتصرف يسير.
(٣) الفقه على المذاهب الأربعة ٤٩٩/١.

لشعور المسلمين وكرمهم. وفي السنة الثانية من الهجرة - على المشهور - فرض مقدارها من كل نوع من أنواع المال"(١).

ويقول الإمام القرطبي عند تفسير قوله تعالى: (خذ من أموالهم صدقة): "اختلف في هذه الصدقة الأمور به فقيل: هي صدقة الفطر، قاله جويبر عن ابن عباس فيما ذكره القشيري، وقيل: هو مخصوص بمن نزلت فيه، فإن النبي ﷺ أخذ منهم ثلث أموالهم، وليس هذا من الزكاة المفروضة في شئ"(٢). يقصد الذين تخلفوا واعتذروا لرسول الله ﷺ.

وفي تفسير أبي السعود: "روى أنهم لما أطلقوا قالوا يا رسول الله هذه أموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا، فقال ﷺ: ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئاً فنزلت، فليست هي الصدقة المفروضة لكونها مأموراً بها، ولما روى أنه ﷺ أخذ منهم الثلث، وترك لهم الثلثين، فوقع ذلك بياناً لما في الصدقة من الإجمال، وإنما هي كفارة لذنوبهم حسبما ينبئ عنه قوله - عز وجل - (تطهرهم) أي عما تلطخوا به من أوضار التخلف"(٣).

وهكذا يترجح بالأدلة أنه ليس المراد بمن عاهد الله ثعلبة بن حاطب الأنصاري إنما نزلت هذه الآيات في جماعة من المنافقين نبتل بن الحارث وجد بن قيس ومعتب بن قشير.

والله أعلم ...،

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله على سيدنا محمد ما دامت الأرض والسموات، ورضى الله عن آله وأصحابه في جميع الأزمان والأقوات.

وبعد ...،

فهذه خاتمة البحث المتقدم ومن خلاله توصلت إلى أهم النتائج والتوصيات الآتية:

أ - أهم النتائج:

(١) فقه السنة ٢٤٧/١.
(٢) تفسير القرطبي ٢٢٦/٨.
(٣) تفسير أبي السعود ٩٩/٤.

١- أن العهد رعاية واجبة لما يقطعه المرء على نفسه بينه وبين الله، وبينه وبين نفسه وبينه وبين الناس.

٢- أن الأنبياء قد أدوا دورهم، ووفوا عهدهم، ونصحوا لأقوامهم، وواجب على كل البشر أن يؤمنوا بهم جميعاً، وأن يقتدوا بهم في الوفاء بالعهد.

٣- القرآن الكريم كتاب هداية، فلا نبتغي الهدى في غيره.

٤- تحقق وعد الله رسله، وقد وعدنا ربنا فمن الواجب علينا أن نفي بوعد الله حتى ينجز ربنا ما وعدنا.

٥- طاعة ا لله وطاعة الرسول هما الطريق إلى رضوان الله تعالى والفوز في الآخرة فأعظم به من طريق!

٦- عداوة الشيطان لنا عداوة قديمة وقد حذرنا الله منه فلا ننس ذلك وعلينا أن نكون حذرين حتى لا نقع في حبائله.

٧- الوالدان أحسنا إلينا ويجب الوفاء لحيهما بالبر ولميتهما بالدعاء والاستغفار.

٨- حد الله لنا الحدود فيجب أن ألا نتعداها وفرض الفرائض فلا نضيعها.

٩- أن ننصر دين الله كما أمرنا الله، وأن نثبت في الشدائد حتى يتحقق وعد ا لله لنا بالاستخلاف في الأرض، والتمكين لدينه الذي ارتضاه لنا، وتبديل خوفنا أمنا.

١٠- عظم جزاء الموفين يرغب في الوفاء بالعهد، وقبح عقاب الناكثين ينفر من الغدر ونقص العهد.

١١- أن نفتدي بأفعال الموفين بعهدهم، وأن نأخذ العبر من حال الناكثين فنبتعد عن نكث العهد.

١٢- تعليم الناس العلم، والعمل بما نتعلم، وإسداء النصح للآخرين واجب شرعي.

١٣- المحافظة على أموال اليتامى ورعايتهم واجب على كل مسلم.

١٤- غدر اليهود وحقدهم على المسلمين أمر متأصل في نفوسهم فيجب علينا أن نأخذ حذرنا منهم، ولا نأمن جانبهم.

١٥- إعمال العقل فيما نراه ونسمعه من الآخرين، وألا ننخدع بأقوالهم وأفعالهم.

١٦- أن يتذكر كل إنسان أحواله السابقة وأن يفكر في فضل الله عليه، وأن يشكر ربه على فضله، وأن يتغير إلى الأفضل حتى يغير الله حاله إلى أحسن حال.

ب- أهم التوصيات:

١- أن يقوم علماء الأزهر بدورهم في تعريف الناس بالإسلام والمسلمين ومبادئ الإسلام على المستوى المحلي والعالمي حتى تتغير الصورة المشوهة للإسلام والمسلمين.

٢- مقاطعة من أساء إلى رسول الله ﷺ مقاطعة كاملة؛ لأنهم نقضوا عهدهم الذي أخذ عليهم بتعظيم الرسول ﷺ فلو تعاملنا معهم نكون قد نقضنا عهدنا وفرطنا في حق الرسول علينا.

٣- أن نغلق باب المفاوضات مع اليهود، لأن الغدر طبعهم، وكراهيتهم المسلمين لا ينفكون عنها، ولن تجدي المفاوضات معهم.

٤- أن يتكاتف المسلمون في كل مكان مع إخوانهم في البلدان التي تعاني من كيد الأعداء حتى يخلصهم الله تعالى مما هم فيه.

٥- ألا نوالي أعداء الله تعالى، فقد نهانا ربنا عن موالاتهم، وهذا عهد يجب الوفاء به.

والله أسأل أن يوفقنا إلى ما يحبه ويراضاه.

آمين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

لباحث

د. محمد الطنطاوي الطنطاوي جبريل

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بالكلية

مراجع البحث

أ- القرآن الكريم.

ب- مراجع التفسير وعلوم القرآن:

١- تفسير أبي السعود العمادي طبعة دار المصحف.
٢- تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي طبعة دار الكتاب الإسلامي، الثانية ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
٣- تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور طبعة دار سحنون تونس العاشرة مكرر.
٤- تفسير القرآن الكريم للحافظ ابن كثير طبعة عيسى الحلبي.
٥- التفسير الكبير للفخر الرازي طبعة دار الفكر ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
٦- تفسير المنار للإمام السيد محمد رشيد رضا طبعة الهيئة المصرية للكتاب.
٧- جامع البيان للإمام ابن جرير الطبري طبعة دار الريان للتراث ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
٨- الجامع لأحكام القرآن الكريم للإمام القرطبي طبعة دار الحديث ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
٩- تفسير الخازن طبعة دار الكتب العلمية الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
١٠- الدر المنثور في التفسير بالمأثور للإمام السيوطي طبعة دار المعرفة ١٣١٤هـ.
١١- تفسير روح المعاني للإمام الآلوسي طبعة دار الفكر ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
١٢- فتح القدير للإمام الشوكاني طبعة دار المعرفة.
١٣- الكشاف للإمام الزمخشري طبعة دار الريان للتراث ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
١٤- معالم التنزيل للإمام البغوي طبعة دار الكتب العلمية الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
١٥- أسباب النزول للواحدي النيسابوري طبعة مكتبة المتنبي.
١٦- لباب النقول في أسباب النزول للإمام السيوطي على هامش المصحف طبعة مكتبة عبد المجيد مرزا بمكة.

١٧- مفردات الراغب الأصفهاني تحقيق محمد سيد كيلاني طبعة مصطفى الحلبي ١٣٨١هـ/١٩٦١م.

ج- مراجع كتب السنة:

١- الأحاديث القدسية طبعة مكتبة الدعوة الإسلامية.
٢- حاشية السندي هامش صحيح البخاري طبعة عيسى الحلبي.
٣- رياض الصالحين للإمام النووي طبعة دار التراث الأولى ١٩٧٩م.
٤- سنن أبي داود طبعة دار الريان للتراث ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
٥- سنن الترمذي تحقيق إبراهيم عطوة وأحمد محمد شاكر طبعة مصطفى الحلبي ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م.
٦- سنن الدار قطني للإمام على بن عمر الدارقطني طبعة دار الحاسب للطباعة بالقاهرة.
٧- سنن النسائي بشرح الإمام السيوطي وحاشية السندي طبعة دار الكتب العلمية.
٨- شرح صحيح مسلم للنووي طبعة دار الغد العربي ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
٩- صحيح البخاري بحاشية السندي طبعة عيسى الحلبي.
١٠- صحيح مسلم بشرح النووي طبعة دار الغد العربي ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

د- مراجع كتب اللغة:

١- لسان العرب لابن منظور طبعة دار الفكر ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
٢- القاموس المحيط للفيروزآبادي الطبعة الثانية مصطفى الحلبي ١٣٧١هـ/١٩٥٢م.
٣- مختار الصحاح للرازي طبعة عيسى الحلبي.
٤- المعجم الوجيز مجمع اللغة العربية طبعة وزارة التربية والتعليم ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

هـ- كتب السيرة والتاريخ:

١- البداية والنهاية للحافظ ابن كثير طبعة دار الغد العربي الأولى ١٤١١هـ/١٩٩١م.

٢- حياة محمد ﷺ لمحمد حسين هيكل طبعة دار المعارف السادسة عشرة.
٣- السيرة النبوية لابن هشام تحقيق د. محمد فهمي السرجاني طبعة التوفيقية.
٤- فقه السيرة النبوية للبوطي طبعة دار الفكر الرابعة عشرة ٢٠٠٤م.
٥- فقه السيرة للغزالي طبعة دار الكتب الحديثة السابعة ١٩٧٦م.

و - مراجع أخرى:

١- إنجيل برنابا ترجمة د/ خليل سعادة طبعة محمد على صبيح.
٢- فقه السنة للشيخ سيد سابق طبعة دار التراث العربي.
٣- الفقه على المذاهب الأربعة لعبد الرحمن الجزيري طبعة دار الحديث ١٩٩٤م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
١ – **المقدمة**	٣٧٥
٢ – **التمهيد: تعريف العهد**	٣٧٧
٣ – **المبحث الأول: عهد الله للرسل**	٣٧٩
المسألة الأولى: عهد اله إليهم بتبليغ رسالته	٣٧٩
المسألة الثانية: عهد الله إليهم بالإيمان برسول الله ونصرته	٣٨٢
المسألة الثالثة: وعد الله رسله بالغلبة والنصر	٣٨٥
٤ – **المبحث الثاني: عهد الله لبني آدم**	٣٨٩
المسألة الأولى: أمر الله بالوفاء بالعقود والعهود	٣٨٩
المسألة الثانية: أمر الله بعبادته وطاعته وطاعة رسوله وعدم طاعة الشيطان	٣٩١
المسألة الثالثة: أمر الله - عز وجل - عباده بالإحسان إلى الوالدين	٣٩٤
المسألة الرابعة: عهد الله لنا بعدم تعدي حدود ما أحله وحرمه	٣٩٨
المسألة الخامسة: عهد الله إلينا بنصر دينه والثبات عند لقاء الأعداء	٤٠٣
٥ – **المبحث الثالث: جزاء الوفاء بالعهد وعقاب نقض العهد**	٤٠٧
أ – جزاء الوفاء بالعهد	٤٠٧
ب – نقض العهد وعقابه	٤١١
٦ – **المبحث الرابع: أمثلة للوفاء بالعهد وأمثلة لنقض العهد**	٤١٤
أ – أمثلة للوفاء بالعهد في القرآن الكريم	٤١٤
ب – أمثلة لنقض العهد	٤١٨
٧ – **الخاتمة وأهم التوصيات**	٤٣٢
٨ – **المراجع**	٤٣٥
٩ – **فهرس الموضوعات**	٤٣٨